

صَقَرِ قَریش

محمود نیور



صَقْرُ قَيْشٍ

مسرحية عربية

تأليف

محمود تيمور

ملئزم الطبع والنشر
مكتبة الآداب ومطبعها بإيجاميرت: ٤٦٧٧٧

المطبعة النموذجية
٦ سكة السابريكت بالعمية الجديدة

صقر قریش

مثلت لأول مرة بمدينة تونس ، حاضرة الدولة التونسية .
قدمتها (الفرقة البلدية للتمثيل العربي) على مسرح البلدية بتار
يوم الخميس الموافق ٨ ديسمبر ١٩٥٥ في حفلات متتابعة ، ثم أعيد
تقديمها في يناير ١٩٥٦ في حفلات أخرى .
أشرف على إعداد تقديمها ، بعد الترحيب بها كهدية إلى القطر
التونسي الشقيق :

أمير الأمراء محمد الشاذلي حيدر

رئيس البلدية وشيخ مدينة تونس ومحافظها
تولى إخراجها ، وتمثيل دور « عبد الرحمن الداخل » :

الأستاذ زكي طليمات

الذي حقق ، قبل هذا ، لبلدية تونس رغبتها في إنشاء فرقة
قومية للتمثيل العربي ، قررت احترام التمثيل بين هواة المسرح
بتونس ، وتحظى بإعانة مالية في كل عام .

وقام أعضاء الفرقة بأداء أدوار المسرحية على الوجه الآتى :

الرجال :

محمد عبد العزيز العقربى	في دور	منارة
محمد التيجانى	»	أبو الصباح
المهادى السملالى	»	بدر
الطاهر بلجاج	»	ونسوس
عز الدين السويسى	»	ابن عثمان
أحمد التريكى	»	صاحب الشرطة، والمروانى
عبد اللطيف بن جدو	»	سابق
عبد الحفيظ بلحسين	»	هرقل
رشيد قاره	»	القوطى ، وأمير البحر
نور الدين رزق الله	»	الأنوف
محمد الجودى	»	ميمون
الجيلانى التونسى	»	أبو غالب
جلال بورقيه	»	العملاق ، وحسان

نور الدين القسباوى فى دور العملاق وحسانه

والسيدات :

فتحية خيرى	فى دور	ضحى
دليلة خيرى	•	أميرة القصور
الزهرة فائزة	•	تكفات
منى نور الدين	•	رواح
سلوى	•	سحر

فاتحة ... وتعقيب

لدرُستاز الكبير زكي طليمات

عبد الرحمن الداخل ، بين أبطال التاريخ ، يأخذ مكانه في
الصف الاول بين الذين اصطفتهم الأقدار ليدفعوا بركب
الحضارة الإنسانية إلى آفاق جديدة ...

هو أعظم شأنامن قائد حرب، ومؤسس دولة، وسياسي وفقهه
ومشرع ... إنه تصنّاع تاريخ .

و عبد الرحمن ، ، بين البشر ، يؤلف شخصية تنفرد بمااجتمع
فيها من أخلاط بحجية ، وصفات متناقضة ...

إنه لغز ...

واللغز يثير الفضول ويبحث على التأمل ... ولا يكشف

اللغز عن كل ما فيه ا

تؤلف سيرة عبد الرحمن الأموي الملقب « بصقر قریش »
ملحمة ليس لها ضريب ، في التاريخ العربي ، ملحمة مجيدة ، إذ تشيد
بجهاد رجل في سبيل إنشاء دولة ، ثم هي ملحمة تبحث على التأمل
والعجب ، إذ منها تعلو أنشودة الأناشيد تتغنى بالقدر وسلطانة ،

وبأن العناية الإلهية لا تتصرف في أقدار الناس من غير حكمة ،
وأن الله جل قدره أعلم حيث يضع رسالته ويوحى بإرادته ...

الشريد المطارد

وما نظن أن التاريخ في مختلف عصوره قدم مثيلاً لعبد الرحمن ،
فيما ناله من الدنيا ، ثم ما أعطاه للدنيا وللأيام ، بعد أن لقي من
الشدة والهم والحزن ونكران الناس له ، بين كيد العصبية وتنكر الأهل
والأعوان ، وبين قوة التشريد وحرمان الفقر !!

عبد الرحمن ، طريد العباسيين الذين أرصدوا الجوائز لمن يأتي
برأسه ، يخلق كالأصقر الشديد المراس من شاطئ الفرات بأرض
العراق ليهبط بالأندلس فينقذها من تطاحن زعمائها ويوحدها ،
ويؤلف دولة إسلامية قامت معها أزهر الحضارات العربية وأبعدها
أثراً في قيام الحضارة بأوروبا .

سلبه العباسيون ، عند أول قيام دولتهم على أيدي الخراساني ،
و « أبو جعفر المنصور » ، عرش آبائه ، بني أمية ، وطارده الموت
على أيدي عملاء العباسيين ، فغضب في وجه الأرض مجتازاً نهر
الفرات سباحة ، وسهام جنود بني العباس تنوشه من كل جانب ،
واخترق صحراء الشام ، وعبر بمصر وتونس وبعطول الشاطئ*
الإفريقي ، والموت يحوم فوق رأسه أينما نزل ...

ثم اجتاز المغامر الطريد البحر إلى الأندلس، وهو لا يحمل
أملًا بين جنبيه إلى أن ينجو من الموت ليحيا حياة أمن وسلام،
يسرهما له ماورثته عن جده الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك
من ضياع في الأندلس.

وفي الشاطئ الإفريقي انحل الوثام، وكادت تندثر آية الفتح،
في الأندلس أمراء يتنازعون السلطان، ففي كل مدينة أمير له
راية وله جند وأتباع، إقطاعيون يتناحرون في سبيل المغنم والجاه...
ترف ونزق، وفوضى وانحلال، وغد معاله سود، ينذر بأن
الفرنجة يعملون على استرجاع البلاد من أيدي العرب.

تروى مصنفات التاريخ هذا في إسهاب وتفصيل، وتزف
الشواهد على عظم ما قام به عبد الرحمن، وهو يصنع تاريخ العرب،
ويغير من مجراه... ثم يصمت التاريخ!
ولكن...

على أي نحو استقام الطبع في «عبد الرحمن»؟
وما هي العوامل النفسية الباطنة التي جعلت منه بالأندلس
(عصاميا) يركب كل حرج ويغامر؟
ومن أين نفذ الكاتب «محمود تيمور» إلى معالجة شخصيا
«عبد الرحمن»، لافي عالم التاريخ، ولكن في دنيا النفس، وفي
محيط الإنسان؟

وذلك في المسرحية التي تحمل اسم « صقر قریش »، والتي بدأت
فيها « الفرقة القومية التونسية » موسمها يوم ٨ ديسمبر سنة ١٩٥٥
على « المسرح البلدى » .

هذا التاريخ القاصر !

لا يرقى شك إلى « عظامية » « عبد الرحمن » من حيث شرف
المحتد وكرامة النشأة ، فهو سليل « بنى أمية » بيت عريق في الخلافة
الإسلامية ، تحكم في أقدار العروبة والإسلام قرابة قرن من الزمن ،
ورفع راية الإسلام من أرض الصين إلى الأندلس . . .

فجد « عبد الرحمن » لأبيه هو الخليفة الأموي « هشام بن عبد الملك »
ويروى التاريخ أن مقاليد الخلافة كانت ستؤول إلى « عبد الرحمن »
لو لم ينتزع الموت والده وبقصيه عن كرسي الخلافة بعد أن أوصى
له أبوه « هشام » بها . . .

والتاريخ يحدث أن « عبد الرحمن » نشأ في عز ورفاهية عيش ،
محوطاً بمطف جده « هشام » الذي كان يؤثره على جميع أحفاده ،
فشب سليم الطبع ، عزيز النفس ، ليصبح مرعوق المرموقين من
شباب بنى أمية ، لا يبهز في الفروسية فارس ، ولا يعلو عليه صائد
في مطاردة الوحش واقتناص الطير . . .

ومن التاريخ نعلم أن « عبد الرحمن » عرف الزواج المبكر

والأبوة ، ولما يخلع عن طوقه العشرين من سنى حياته . . .
ومن التاريخ نعرف أن « عبد الرحمن » كانت تشوب سلامة
خلقه آفتان : كانت ياحدى عينيه غشاوة كادت تفقدها قوة
الإبصار ، وكان أخشم ، أى أن حاسة الشم فيه لا تميز بين
ما يدخل على أنفه .

ويحكى التاريخ أيضا حادثة مهمة وقعت « لعبد الرحمن » وهو
صبي ، يحكى أن « مسلمة بن عبد الملك » ، وكان من المشهورين بالفراسة
واستطلاع الغيوب قد تنبأ « لعبد الرحمن » الصبي ، بأن الأمر
سيبتدأ له ، وأن القدر يعده ليجرى على يديه أحداثا جساما ترفع
من شأن بنى أمية . وأن هذا التنبؤ كانت له أصداء تدوى فى أذنه ،
وتذكى فيه أملا بعيدا مجهول الغاية !

هذا ما يرويه التاريخ عن « عبد الرحمن » قبل أن تنزل به وبقومه
المنحة التى قوضت عرش آبائه ، ودفعت به إلى أن يفر بجلده من
جنود العباسيين ، تاركا العراق ليهم على وجهه شريدا إلى أقصى
الشمال الإفرىقى . . .

ثم يعود التاريخ فيسجل أن « عبد الرحمن » أقام هناك يتلصص
حياة الأمن ، وليس له مطمع فى إمارة أو ملك . . . هذا وهو لا يحمل
بين يديه من عدة لمواجهة حياة التشريد والمطاردة ، غير (عظامية)
من شرف المحتد ، لم تفقده فى أن توفر له أسباب الأمن ، ولم

تعصمه من تعابس الحظ ، وإدبار الدنيا ...
وعبر «عبد الرحمن» البحر من «شارف مدينة» «سبته» إلى
الأندلس ، مبيض الجناح ، لا يفتش غير حياة هادئة ييسر هاله ما تدره
عليه أملاك سبق أن أورثه إياها جده «هشام» ...
ولكن سرعان ما تغير حال «عبد الرحمن» بالأندلس بعد
ذلك !

التاريخ يصمت

تساءل : كيف انقلب «عبد الرحمن» المسالم القنوع ، مشاغبا
مغوارا ، لاحد لطموحه . ولانهاية لنضاله ؟

كيف تحولت (عظاميته) العريقة إلى (عصامية) ، وافدة ؟
كيف أخذ يعمل ويغامر ، ليبني لنفسه حياة جديدة ، بين المصارحة
والمداورة ، بين السيف والكلم ، ولا يعبأ بالوسيلة في سبيل الغاية ؟
يقول «عبد الرحمن» : «وجدتني أخوض معارك ، وأنغمس
في ألوان عنيفة من النضال ، لم أفكر فيها من قبل ، ...

ويقول التاريخ : إن الأحداث هي التي تخلق الرجال ...
ويقول تاريخ التطور الاجتماعي مع فلسفة التاريخ : إن عظمة
الرجال من طراز «عبد الرحمن» إنما يصطفيهم الغيب ليتخذهم
معاول لتنفيذ مطالبه ...

فلعبد الرحمن تفسير ...

والتاريخ تفسير ...

وفلسفة التطور الاجتماعى تفسير ...

ولكن هذه التفاسير لا توضح حقيقة الأمر ولا تجلو الغامض !!

الكائن الإنسانى أولا ...

إن «عبد الرحمن» قد قام وعاش وعمل قبل أن يكتب التاريخ
سيرته ، فهو الأصل ، وهو القوة الإيجابية ...

و «عبد الرحمن» ، إنسان ، والكائن الإنسانى فيما يصدر عنه
من أعمال إنما يرجع إلى طبعه الذى استقام عليه ، بين وراثته
وبيئته ... فالطبع أولا ... والأعمال أخيرا ...

إن تلك التفاسير التى سبق أن ذكرها التاريخ لاتبين عن
الاخلاط التى تؤلف طبع «عبد الرحمن» ، أو غيره من عظماء التاريخ ،
ولا تكشف عن أغوار التربية التى يكونون عليها ، وإذا كشف
التاريخ عن شئ منها ، فإنه كشف لا يتجاوز ظاهر تلك الاخلاط ،
وأديم تلك التربة !!

التاريخ لا يفسر العوامل النفسية والبواعث اللاشعورية التى تدفع
رجالها إلى أن يأتوا بما يسجله فى صفحاته من أعمالهم ، هذه البواعث
الكامنة فى أعماق الوعى الباطن ، والتى تتألف بعوامل الوراثة
والبيئة والأحداث ، وهى القوى الخفية والفعالة التى تدفع بالإنسان

إلى أن يسلك سلوكا خاصا في حياته ...
ولإذا سكت التاريخ ، فإن الأدب ينبرى ليتكلم ويفسر ، فهمة
الأديب في كتابة القصة والمسرحية التاريخية ، ليسكون في صميم مهمته ،
أن يتم الناقص ويجلو الغامض ، ويقدم عظماء التاريخ على حقيقتهم
الإنسانية بعد أن ينزع عنهم لبوسا يداريهم ...

الأدب يحكى

وإلى القارىء أمثلة عما نذهب إليه :
أشار التاريخ إلى تنبؤ مسلة بن عبد الملك ، ، ولكنه لم يشير
إلى شيء عن أثره فى واعية « عبد الرحمن » ، ثم فى تكوين شخصيته ،
ولم يفسر ماهية العقدة النفسية التى لا بستها منذ الصبا الأول ، ثم
ماذا تمخضت عنه حينما رأى « عبد الرحمن » كل آماله فى المجد
المرتقب تذوى وقد تحطم طموحه على صخور المحنة الطاحنة التى
نزلت به وبقومه ... حينما أحس أن هذا التنبؤ لن يتحقق !!
وتلك الغشاوة على إحدى عينيه ، وذلك القصور فى غاسة الشم ؟
إن التاريخ لا يتحدث عن شيء من أثرهما فى نفسية « عبد الرحمن »
ولا يروى شيئا عن شعوره بالنقص فى هاتين الناحيتين ...
ثم تلك العظامية ، وقد هبطت من عليائها تحت وقع الأحداث ،
فمسحت أديم الأرض بجبينها ... أى هزة طاغية أنزلتها بعبد الرحمن ؟

لجعلته ينطوى على نفسه ، ويلم أطراف ثيابه الممزقة ، ليدارى بحاسر جسمه ؟؟

بما أغفل التاريخ ذكره فى هذا تبدأ مهمة الأدب ، ويتكلم علم النفس الذى هو العماد الأول فى القصة والمسرحية . . .

أول خيط

من هذه العقدة النفسية التى حفرتها فى واحة «عبدالرحمن» تنبؤات لم تصدق . . .

ومن تلك «العظامية» التى تداعت أركانها فى قلب «عبدالرحمن» . . .

ثم من ذلك الشعور بالنقص فى قوة الإبصار وحاسة الشم — تسلم المؤلف «محمود تيمور» طرف الخيط الأول ، وأخذ ينسج منه شخصية «عبدالرحمن» ، صقر قریش . «عبدالرحمن» الإنسان الذى يتأثر كسائر البشر ، وانبرى يفسر الدوافع الشعورية واللاشعورية التى دفعت به إلى أن يأتى من الأعمال ما جعله أحد حفظة التراث الإنسانى فى الحضارة وتطورها . وقد اتخذ المؤلف مما سجله التاريخ وسيلة ، وليست غاية . . .

لولا هذه «العقدة النفسية» ، ولولا حسرات مريرة على «عظامية» ضاعت وعز فقد ، ولولا شعور بالنقص فى ناحية من

التكوين الجسماني — وكل هذا من فعل الغيب الذي يتصرف في
أقدار الناس على الوجه الذي يريد أن يكونوا عليه — لولا هذا
كله ، لما تهاىء لعبد الرحمن ، ذلك الطبع الذي رسم سلوكه أمام
الحننة التي نزلت به ، وقدر فعاله للخروج منها .

هذا ما يلوح به ، محمود تيمور ، في مسرحيته . . . ويحاول
تقريره من خلال علم النفس في العقل الظاهر وفي الوعي الباطن .

عصامية وعظامية !

لقد اصطلحت لوامع العقدة النفسية مع مرارة ، العظامية ،
الذاوية ، اصطلحتا على ، عبد الرحمن ، في أن يفتعل الأفاعيل ،
وأن يركب الحرج والأهوال لينشئ له عالما جديدا ، يقوم فيه
توازن بين ما كان عليه ، وبين ما يجب أن يكونه ، توازن
يغذى بهم العقدة النفسية ويرضى طموح صاحبها .

ثم أمده شعور بالنقص في بصره وفي شمه بما يجعله يحسن
التفحص ويميل إلى الحذر ؛ لأن الأعور ومن على شاكلته مجبول
على أن يطيل التحديق والتفحص ، ومن لا يميز ما يدخل على أنفه
مشدود إلى التحرز والحذر .

وليس من الميسور أن يتحول ، العظامي ، ربيب العز والترف
إلى ، عصامي ، قد يحني هامته ، وقد يتكلف ما ليس فيه ، وقد يركب

من الوسائل لإدراك الغاية ، ما ينكره الخلق النبيل المتسامي .
بل أعسر من هذا ، أن توفق هذه العصامية ، الطارئة ، إلى
بناء مجد تطول قامته على د عظامية ، كانت .
ليس هذا ميسورا إلا لمن أوتي فطرة قوية مثل فطرة
« عبد الرحمن » تنفجر فيها ملكات دفاقة من الجلد والصبر ، من
الرجاحة والإقدام ، ومن الليونة والخذق في تصيد الفرص ، وقد
اندفعت كل هذه القوى اندفاعا إيجابيا ، وألهبتها في الوقت نفسه
تيارات جامحة من الوعي الباطن ، مأتاها عقدة نفسية وشعور بالانقص .

الوصول إلى الجبار

و « الوصولية » تجري عادة في أثر « العصامية » ، ولكن
العصاميين ، لا يحسونها ، وإن أحسوا بها ، فإنهم لا يأبهون بوسائلها
المنحرفة ، على اعتبار أنها مبطية إلى قطع مرحلة ، وحذاء لخوض
مبادة لا بد من اجتيازها !
وأراد « تيمور » أن يحسم هذا في سلوك « عبد الرحمن » ،
فإذا هو يجعل منه — وذلك في أسلوب من أساليب الوصولية —
يجعل منه خلب نساء ، يخلب لب أميرة ذات ثراء ، من أجل أن
تبذل ما لها في سبيل الدعوة له ، وجمع الأنصار حوله !

ظلام النفس

وانتقل المؤلف ، وهو يقدم شخصية بطله ، الى معالجة نواح أخرى ألفت أضواء جديدة عليه . . .

ما أثر تلك المطاردة والملاحقة اللتين اکتوى بنارهما « عبد الرحمن » طوال إقامته بالشمال الإفريقى ؟ ما أثرها فى نفسه بعد أن خلاص منها واستقر له الأمر بالآندلس ، وصار سيدها الفرد . مدى ثلاثة وثلاثين عاما ؟

أصبح « عبد الرحمن » يرى فى إقبال النساء عليه لونا من المطاردة والملاحقة اللتين يفتهما كل المقت ، فصار يضيق بكل امرأة تميل إليه وتشدوده . . .

ثم هب وعيه الباطن يثار لنفسه مما نزل بصاحبه من اضطهاد العباسيين له ومطاردتهم إياه . . . لقد تغرب هو وفارق الأهل والوطن ، وأمضه هذا ، فلماذا لا يكابد غيره مثلها كابد ؟ ؟

وكان مظهر هذا ، أن « عبد الرحمن » ، عاود هواية الصيد بعد أن تركها تحت تأثير المحنة التى به ، فصار يمعن فى مطاردة الوحش ، وكأن بينهما نارا مفقودا !

ثم تجاوز هذا الى مطاردة أنصاره وعملائه ، فهو يطوح بهم كل يوم الى أقصى البلاد بحجة أنهم ينجزون مهام الدولة ، فإذا احتج

أحدم غمره بالتقريع الشديد ، بعد أن يضرب الأمثلة بنفسه !
واشتد « عبد الرحمن » في هذا وفي غيره وبالع ، فلكل هفوة
عقاب ، ولكل منحرف عذاب ، ولو كان من أخلص خلصاته .
صرامة مآثها النار لنفسه مما لقي من تعذيب الأيام له ، وصرامة
اكذبها من مرارة النضال ، فكان أن قضى على أنصاره ، وعلى
أعدائه معا ، وبقي وحيدا مثل العقاب الذي يعيش في القمم السامقة .
وهكذا كشف « تيمور » عن القوى الباطنية ، التي كانت تستمر
نارها في أعماق « عبد الرحمن » ويتكاثر بخارها يضغط ويلج في
الانطلاق ، فإذا « عبد الرحمن » ينطلق بدوره مثلما تنطلق القذيفة
إلى هدفها بدفع البارود !

الحق التاريخي

وفي هذا ، وفي غيره مما ابتدعه قريحة « تيمور » ، ليقوم شخصية
« عبد الرحمن » ، التقويم الإنساني الذي يخضع لعوامل البيئة ودوافع
النفس ، لم يفرط « تيمور » في إعلاء الحق التاريخي في حياة بطله .
والحق التاريخي ، مثل الحقيقة المجردة ، والحكمة المنشودة ،
تبه واسع الرحاب ، ولا يحمل بمن في تفكيره وزانة ، وفي نفسه
تواضع ، أن يدعى حيازتها وامتلاك ناصيتها . . .
و « عبد الرحمن الداخل » ، شخصية متعددة النواحي : متداخلة

الشعاب ، يحار المتأمل سيرتها ، كيف انتظمت فيها كل هذه
الاخلاط ... خيال الشاعر ، وصرامة الجندى المناضل ، ودهاء
السياسى الذى لا يبالى بالوسيلة فى سبيل الغاية ... كائن إنسانى عجيب
يقنقل بين المصارحة والمداورة ، بين الرقة والقسوة ، بين التحدى
والوثوب ... وهو فى كل هذا يتقلب متماسك الأطراف ، كاللحن
العبرى ، يعلو وينخفض ، ويرتفع نبره ويستقيم ، وهو على هذا
وبهذا يلفت ويطرب ويتير العجب والإعجاب !

كلنا سواء !

وأبطال التاريخ مهما تساموا بفعالهم ليسوا إلا بشرًا يجرى
عليهم ما يجرى على سائر الناس من حيث تأثرهم بالأحداث التى
تعملهم وتندق فى أصلاهم ...

وعظماء التاريخ مهما تعالوا بصفاتهم ، ليسوا إلا آدميين ، يعرض لهم
ما يعرض لبنى جنسهم ، من تزعزع وشك ، ومن ضعف ووهن ...
هذه الحقيقة يجب أن يعليها كل الإعلاء ، القصاص أو الكاتب
المسرحى حينما يجرى قلبه معالجا لأحدى الشخصيات التاريخية التى
تنعقد فوق رأسها حالات البطولة والعظمة .

إن إخضاع الشخصيات التاريخية المعالجة فى القصة أو المسرحية
لما يصح أن تتأثر به وأن يبدو منها ، وبقا لتلك الحقيقة وتبعًا لطبيعة

النفس البشرية ، إذ تهتز متأثرة بفعل أثر حدث من الأحداث الكبيرة . . هذا الإخضاع يضاف على الشخصية المعالجة مسحة إنسانية صادقة ، بل إنه ليؤلف حجر الزاوية في تقويمها تقويماً بشرياً سليماً نحس انعكاسه في نفوسنا .

وصغار كتاب القصة أو المسرحية يؤخذون دائماً بأسباب

البطولة البراقة التي يصفها التاريخ على الشخصية التي يعالجونها، فإذا

هم يسمونها وكان صاحبها كائن ليس من فصيلة البشر ... أى كائن

أسطوري، بعد أن بعلموا بصفاتها على مصاف الآدميين . ويعصوها

عن مواطن التردد والتشكك والضعف والخور !

إنهم بهذا يصفون على هذه الشخصية مسحة من الجود والزيغ إذا أرضت بطولة التاريخ، فإنها لا ترضى الحقيقة الإنسانية. والتاريخ كما سبق أن أشرنا ، لا يصدق ولا يثق إلا في تسجيل أعمال أبطاله ولكنه بعيد عن الصدق وعن الدقة في تقويم نفوسهم هذا التقويم الذي هو أساس (الصدق الفني) في المسرحية، لأن التاريخ - نصرف عن هذا إلى سواء .

ضربة أستاذ

عرف « محمود نيمور » ، هذا الفارق ، الفارق بين الجود التاريخي

فى الكشف عن تفسير النزعات الخفية التى تعتلج فى نفوس أبطاله
وتدقمهم الى العمل ، وبين (الصدق الفنى) القائم على حقيقة أن
النفس واحدة فى جميع الناس بما تتأثر به ، ثم بما تؤثر فيه .

وآية مانقدمه فى هذا ، موقف « عبد الرحمن » من نفسه ومن
أمله الكبير حينما صودم فى أعماق نفسه ، بأن التنبؤ الذى تنبأ به له
« مسلبة بن عبد الملك » لم يتحقق فى شيء ، بل إن الأمر يجرى
على عكسه ، بعد أن اصطلحت على « عبد الرحمن » فى الشمال
الإفريقى ، وقبل أن يركب البحر إلى الأندلس ، الأهوال والمحن
فسلبته كل شيء حتى الأمن على حياته ...

إن التاريخ لا يزيد فى تبيان شخصية « عبد الرحمن » ، من حيث
التفاؤل والتشاؤم ، إلا أن يروى أن « عبد الرحمن » كان مسرفاً
فى التطير ، وفى الإيمان بالغيبات والأقدار ، وذلك بتأثير النبوة
السالفة الذكر ، ولكن التاريخ لا يكشف عن مدارج هذا الإيمان
فى تطوره تحت ضربات الكوارث والأهوال ، ولكن التاريخ
لا ينقضى مظاهر التغير التى نزلت بنفس « عبد الرحمن » بتأثير
هذا التطور !

المسرح يفسر

اتجاوز التاريخ عن تبيانه ، أفصح الأدب بعلم النفس عنه .

في مستهل الفصل الأول من هذه المسرحية نرى عبد الرحمن ، على قلم « محمود تيمور » ، وقد تزعزعت عقيدته في القدر ، بعد أن جحد تنبؤ « مسلبة بن عبد الملك » له ، وذلك تحت تأثير الأهوال التي تفتأشه من كل جانب .

تزعرع « عبد الرحمن » وجحد ... شعور إنسانى صادق ، وحالة نفسية عامة تلابس أى كائن بشرى ، بلغ ما بلغ من قوة الطبع ، حينما يصبح فريسة لمثل تلك الأهوال التي كانت تعصف « بعد الرحمن » .

لقد ضعف « عبد الرحمن » ، ولكنه ضعف مكتوب على البشر ، ولو لم يضعف ، على قلم « محمود تيمور » ، لما استقامت شخصيته ، في إحدى نواحيها ، على منهاج إنسانى سليم .

لقد اختلف الأديب المسرحى مع المؤرخ أمام صفة بارزة من صفات « عبد الرحمن » . . ولكنه اختلف في التفاصيل

وليس في الجوهر ، ثم سرعان ما تدارك الأديب موقفه وأصلح أمره مع التاريخ . . . فإذا نحن نرى ، في الفصل الأول عنه ،

حدثا تبتدعه مخيلة الأديب المسرحى « تيمور » ، حدثا مروعا يزد « عبد الرحمن » في أصلا به ، ويرده إلى حظيرة الإيمان بالغيب وبسلطان الأقدار .

بهذه اللغة البارعة أعلى مؤلف المسرحية شأن الصدق الفني،

في حين أنه لم يخل بالحق التاريخي

وتتمشى نظائر لهذه اللفتة البارعة في جنبات المسرحية :
« صقر قريش » ، وكلها ترمى إلى تحقيق غرض واحد ، إبراز
« الإنسان » الكامن وراء « عبد الرحمن الداخل » بقوته وبضعفه ،
بتشككه وإيمانه ، بمتناقضاته ... بسوانحه ... بيدواته .. بوقار
تفكيره ... وكلها تدور لاجتذاب « عبد الرحمن » من ظل التاريخ
إلى ضوء الحقيقة البشرية .

محور آخر

وفي غير هذا المحور أدار « تيمور » مسرحيته على محور آخر

ليقول: إن للجد والمثابرة ، وللصبر والمصابرة في سبيل تحقيق الغاية —

إن لهذا كله ثمرة وجزاء ، وإن المطالب لا تنال بالتمني ، وإن المحن

والأهوال إنما هي مقياس القوى الكبيرة الكامنة في الأفراد

والشعوب . وهذا كله من صميم (أدب القوة) لا الخور . وبما يجب

أن يقرع آذان شعوب الشرق العربي ، وقد أخذت بأسباب القوة ،

وأيقنت على هدى الأحداث ، ألا حق ينال من غير قوة تسانده .

وبقى أن نعالج في هذه المسرحية ناحية أخرى :
إلى أى شيء استجاب « محمود تيمور » في اختيار موضوع
هذه المسرحية ؟ ولماذا اختار شخصية « عبدالرحمن الداخل » محوراً
أساسياً ؟ وما هي المؤثرات التي سيطرت على قلبه ، وهو يستثير
الماضى ليخاطب الحاضر ؟

الفن لا يحيا بنفسه

لا تردد في أن نقرر أن « تيمور » قد استجاب في كل هذا
إلى عاملين رئيسيين : اولهما ما هو قائم في الأقطار العربية ، وآخرهما ،
ما يجري في مصر . ولا ننسى أن « تيمور » يعيش في القاهرة ، وقد
عاصر ما قبل الثورة المصرية الأخيرة ، ثم تأثر هو نفسه
بهذه الثورة ...

وبعبارة أخرى : لقد استجاب إلى ما يدور في نفسه وفي نفوس
الناس ، والأدب الحق ، الأدب الحى ، هو ما يعبر عما يشغل
أذهان الناس ، ويدق به نبض الأيام .
ونأخذ بأسباب التفسير فنقول :

هذا الشرق الفأر !

إن أقطار الشرق العربي تقف اليوم في مفترق طريق ، ويختلف

وعبها بتيارات فائرة، تهمس تارة، وتصيح تارة أخرى . تيارات
مأناها أن هذا الشرق يعاني أمراض مرحلة انتقال خطيرة، بدأن
نضج وعيه، وتفتحت آماله، ليأخذ مكانه في ركب الحرية والعزة
والحضارة...

ولكن هذا الشرق يعتريه أحيانا تطوح وترنح بين القديم البالى
في أكثر قيمه الاجتماعية، وبين الحديث الوافد... بقيم جديدة .
فن ناحية : يقظة وتوثب، ومن ناحية أخرى : خمول وتردد
بتأثير مخلفات عصور الظلام والانحلال التي تعاقبت في غير رفق
عليه... ومن المعلوم ألاّ خلاص من حال طال أمدها إلى حال
جديدة، إلا بعد مكابدة وجهد، وتقديم ونكوص !

وفي مثل مراحل الانتقال هذه، تجري الحياة على إيقاع غير
منتظم، ويشوبها تطرف في انطلاق الغرائز، وإسراف في شهوة
البروز ونباهة الاسم . فللقديم، وللحديث. ولما بينهما، قادة وأنصار
وذيول، ولكل رأى لا يؤمن إلا به، أو على الأقل يتظاهر بإيمانه
به، والجميع يتهالكون في منازعات وخلافات، وقد نسوا الأرض
التي يقفون عليها، مطامع... وشهوات في سبيل الجاه والنفوذ
والسيطرة...

وبهذا يقوم لون من الإقطاع، في الأفراد، وفي الجماعات،

باعتبار أن (الإقطاع) في جوهره استئثار متطرف بالغنائم ،
سواء أكانت مغنم معنوية أم مادية .

الإقطاعيون

وفوق هذا ؛ فإن أكثر الأقطار العربية قد اعتنقت المذهب
الديمقراطي في نظام حكوماتها ، أو هي في الطريق إليه ، فالأحزاب
السياسية قائمة فيها على أحسن حال ، تنغذى وتسمن من جهل الشعب
في أكثريته بماهية هذه الديمقراطية . . . والمنازعات بين هذه
الأحزاب لا تنقر ولا تنتهى .

والأحزاب السياسية إذا أسرفت في إعلاء مصالح أعضائها على
الصالح القومى العام . . .

والأحزاب إذا بالغت في سيطرتها على الناس ، وتحولت إلى
أصنام لها سدة وعباد وطوائف . . . وحملة مباخر . . .

والأحزاب إذا تجاوزت أغراضها الأولى ، وهي تمحيص الرأى
وتبادله ، وتسخير قواها لصالح الوطن ، أصبحت هي :
(الإقطاع) بعينه .

كذلك في الشرق العربى بعض من زعماء تسلبوا بين أيديهم
السلطة الواسعة ، مع الهيمنة على إدارة البلاد ، ولكنهم تسلبوا في
الوقت نفسه أكبر زاد من الصلف ، والأنانية ، ومرض الاستعظام ،

فهم يعلنون ذواتهم فوق كل اعتبار . . .

وهؤلاء بدورهم (إقطاعيون) ولا نفر !

فالمشاهد الصريح ، أن أقطار الشرق العربي لها مواسم تعيش

فيها غارقة في دوامات ملتوية ، وتكابد ألواناً من التناحز ، وكان

هذا الشرق لم يكد يفرغ من نزاعه مع الغاصب والمستعمر إلا

ليفرق في نزاع آخر ، نزاع داخلي تسعر ناره في أحزابه

وبين قاداته !

هذا والغرب مازال يطمع في أن تكون له سيطرة على الشرق !

الأدب انعكاس للحياة

من هذه الحال في الشرق العربي ، هبط أول استلهاهم على رأس

« تيمور » في أن يكتب هذه المسرحية . . ولو كان من رجال

السياسة أو الصحافة لعالج الأمر على نحو آخر ، ولكنه رجل أدب

ومسرح ، والفن والأدب في أسلوبهما العالي ، فوق تقرير الحال

بلسان خاد أو بصراحة قاسية ، والأديب لا يملك غير التلويح والإشارة

وغير إحياء العظة وإطلاق العبرة . . فعمد « تيمور » إلى التاريخ

ينشد الإشارة والتلويح والعظة والعبرة ، فاختار من التاريخ صفحات

تكاد معالمها تتفق مع ما هو قائم اليوم — وما أكثر ما يعيد التاريخ

نفسه ، ولكن في لبوس جديد ، فاختار صفحة من تاريخ الأندلس حين تمزقت فيها الوحدة ، وتفرقت الكلداء بين العبث والنرف وبين أطاحن (الإقطاعيين) من زعمائها في سبيل المغانم الشخصية والتفرد بالسلطان ، هذا والفرنجية يطلون على البلاد من أعلى جبال البرانس ويتصدون الفرصة لينقضوا على العرب ... ثم هبط عبد الرحمن الداخل ، أرض الأندلس كالصقر ... فحزم الأمر ...

نحن في حاجة إلى صقرا

ليس في هذه الصفحة ما يقدم لنا العظة البالغة ؟
ليس في هذا ما يذكرنا الواجب ، ويسكب في نفوس القادة والزعماء ما يجب أن يكونوا عليه ويقوموا به ؟
ثم يحى العامل الآخر الذي دفع به محمود تيمور ، إلى صياغة مسرحية (صقر قريش) على الوجه الذي هي عليه .

إن كلمة (الإقطاع) و (الإقطاعيين) منبثة في جنبات المسرحية ، وهي عين الكلمة التي تردد في مصر على كل لسان !
هل يعضد تيمور ، الثورة المصرية على الإقطاع ، وعلى الأحزاب ، وعلى الانتهازية والتجارة باسم الوطن والوطنية ؟
أريد أن يهمس بأن الشرق العربي لا يستقيم حاله في أقطاره إلا أن يتولى أمورها حاكم عادل مطلق انتصرف ؟

هل يتنادى بوحدة العروبة في ظل راية واحدة ؟
هل يريد أن يقول إن نظام الأحزاب السياسية ، على الحال التي
هي عليها ، تقدمها أقل من ضررها ، وإن حسناتها توازيها سيئاتها ؟
أو هو يعرض الصورة لحسب ، ويترك للشاهد لها أن يستخرج
منها ما يستطيع استخراجها وفقا لوجهة نظره ؟

أيا كان الغرض والقصد من هذه الصورة البليغة ، التي تزدهم
فيها ألوان من التأويلات والرؤى والملاحظات ، فإن امرا واحدا
لا يرقى إليه تأويل أو شك . وهو أن « تيمور » قد وفق التوفيق
كله ، في الاستجابة إلى ما يجري في أفطار الشرق العربي ، وجعل
من مسرحيته (صقر قریش) أصدا لما يشغل أذهان الناس في
هذه الآونة . . . وهذا من الأدب الحي وكفى !

وكل فن حي من الفنون لا يقصد بذاته ، ولا يحيا بنفسه ، وإنما
هو صورة لانعكاس الحياة في الفنان ، بحيث يصبح الفن شركة
بين شخصية الفنان ، وبين المجتمع الذي يعيش فيه .

بحية البطل « عبد الرحمن »

أما بعد . . .

فقد يحلو للقارئ أن يتساءل ، بعد أن يشاهد هذه المسرحية ،

وتهزه بطولته « عبد الرحمن » : أين يرقد جثمان هذا العبقري في شخصيته وفي سيرته ؟

وأجيب عن هذا التساؤل :

دفن « عبد الرحمن » في مدينة « قرطبة » بقصره « المنية » — بضم الميم وسكون النون — ولكن هذا القصر قد عفا أثره ودكت معالمه ، بعد أن اغتصب الفرنجة أرض الأندلس من يد العرب وأطلقوا فيها معاول العبث والتدمير ...

إن قبر « عبد الرحمن » هو الكون كله ، هو الهواء ، هو النفوس الكبيرة .

قال الشاعر المصري الكبير « أحمد شوقي » في موشحه الطريف الذي صاغه على شرف « عبد الرحمن » وبطولته ... قال في هذا الصدد :

قصرك « المنية » في قرطبة	فيه واروك والله المصيره
صدف خط على جوهرة	يبدأن الدهر نباش بصيره
لم يدع ظلا لقصر « المنية »	وكذا عمر الأمانى قصير
كنت صقرا قرشيا علما	ما على الصقر إذا لم ير مس
إن تسل أين قبور العظماء	فعلى الأفواه أوفى الأنفس

شخصيات المسرحية

١ - الرجال

عبد الرحمن الأموي : أمير الأندلس

ونسوس : من مناصريه وأتباعه في شمال إفريقيا من البربر
منارة : شيخ معمر ، يتعاطى كشف الغيب .
بدر : مولى « عبد الرحمن » وأقرب الأتباع إليه .
ميمون : خادم في بيت « ونسوس »

{ ابن عثمان : أمير جيش الشام في الأندلس .
ابن خالد :
أبو الصباح : أمير أشبيلية .
المرواني : أمير الجيش

حسان :
سابق :
ابن مسعود :
{ : من أتباع « عبد الرحمن »

: من أصحاب الظلمات .	القوطى الأنوف العملاق
: قزم مهرج فى قصر « عبد الرحمن »	
	هرقل قواد جنود أتباع

ب — نساء

: زوج « ونسوس » من البربر .	تكفات
: جارية فى بيت « ونسوس »	رَواح
: من الجوارى فى قصر « ابن عثمان »	ضحى فجر ستحر
: أخت « ابن عثمان »	
	أميرة القصور

تفضل الأول

العام الهجري الثامن والثلاثون بعد المائة
معالم الخريف . مطلع الفجر
السما مكفورة : برق يومض ، ورعد
يقصف ، ومطر ينهر في الفينة بعد
الفينة ، وسحاب يتناقل في سيره ،
مؤذنا بهبوب عاصفة
مشارف مدينة « سبتة » عن كثب من
بحر « الزقاق »
دار عتيقة أوشكت أن تتخرب ، لها
مستعمر ف ينظر البحر
« عبدالرحمن » يتخذ من الدار مخبأ له .
« رواح » في قاعة من الدار تذهب
وتجيء على ملك واضطراب ، ثم تضي إلى
المستعمر فتجد بصرها صوب الناطق .

رَوَّاح : (تهمهم) يارب . . . يا إلهي . . . نجّه من المخاطر . . .
احمه من كل سوء .

تقصّد إلى مشجب معلق عليه وشاح ،
تتمسح عليه ، وتلثمه
« تسكفات » تقدم على غرة ، فتباغت
« رواح » وهي تلثم الوشاح

- تكفأت : ماخطبك يا « رواح » ؟
 رواح : (مأخوذة) سيدتى « تكفأت » ، ... لاشىء ... لانى
 أنفض الغبار عن وشاح الأمير ...
 تكفأت : حسبك ... أمن أجل نفض الغبار عن الوشاح ،
 هجرت الفرش فى ساعة السحر ١٩
 رواح : استعصى على أن أنام ، لجئت أرقب مطلع الفجر ...
 تكفأت : ترقبين مطلع الفجر ١٩
 رواح : طاب لى أن أشهد سنا الفجر على صفحة البحر ...
 مشهد يأخذ بمجامع القلب
 تكفأت : أذلك هو السنا الذى يأخذ بمجامع قلبك ، ومن أجله
 تمجرين فراشك كل ليلة ١٩
 نغلق فيها لظاظ ، ثم تتأنف القول :
 « رواح » ...
 رواح : لبيك سيدتى « تكفأت » ...
 تكفأت : أبقى من أحلامك يابنية .. لا تطلبى المحال ...
 رواح : ماذا ياسيدتى ؟
 تكفأت : تتغابين يا « رواح » ... إنه عك فى شغل ...
 رواح : من تعنين ؟
 تكفأت : أنت تعلين من أعنيه ...

رواح : سيدتى ...
 تكفات : أنصح لك يابنية ألا تستسلى لتلك العاطفة التى
 تعتلج فى نفسك... حاذرى الانسياق وراء الأوهام !
 روح : (كأنها تنشج) أؤكد لك ياسيدتى « تكفات » .
 تكفات : (مقاطعة) الأمير وعبد الرحمن ، فى شغل عنك ، بل
 هو فى شغل عنا .

روح : (تمسح عينها) وما شأنى بالأمير ياسيدتى ؟
 تكفات : أجهلت يا « روح » ، من أنت ، ومن هو ؟
 روح : (شرقة بالدمع) لم أجهل ياسيدتى ... أنا « روح » ،
 الفتاة التى التقطتها أنت من الطريق لا تعرف لها
 من أب ولا أم ... أخذتك بها رأفة ورحمة ، فكفلتها
 وأحللها من نفسك محل الابنة المعززة ... أما هو ...
 تكفات : سليل الخلفاء الكبارين من بنى « أمية » .. أمير له
 نسبه وحسبه .

روح : (يشتد بها النشيج) أعلم حق العلم ما بينى وبين
 الأمير من تفاوت ... ولكن ياسيدتى « تكفات » ...
 تتداني منها « تكفات » فتخو عليها
 فتجنح « روح » إلى صدرها ، منخرطة
 فى البكاء ، فتعصف بها « تكفات » وترت صدرها

تكفات : حسبنا يا بنية أن نسهر على راحة الأمير، وأن نوفر له دواعي الطمأنينة، في تلك الدار الخربة التي اتخذها مخبأ ومأوى... إن حياته محفوفة بالآهوال...
رواح : (في تممس) قسما لو طلبوا حياتي فداء له، لبدلتها راضية قريرة العين...

تكفات : إن « ابن حبيب » أمير « إفريقيا » لا يأبه لحياتك أنت يا « رواح »... إنما هم أن يظفر بأمرنا « عبد الرحمن »...

تتناحا إليهما خفقات قدم تلتفتان .

تكفات : من ؟

رواح : سيدي « ونسوس » .

تكفات : زوجي ؟ ...

يدو « ونسوس » لأقدم « تكفات »

لقائه ، محتاجة ، الخاطر ، تسأله :

هل من جديد ؟

ونسوس : تأكد لي ذلك النبأ المشنوم... لقد أُرصد « ابن حبيب »

حقا جائز سنية لمن يأتي له برأس « عبد الرحمن »...

« رواح » تحفي وجهها بين يديها ، من

سوء ما سمعت

تكفات : (في غضب) خيب الله فال « ابن حبيب » وأرانا

رأسه معلقا بباب قصره ...

ونسوس : ألم يعد الأمير ؟

تكفات : لم يعد بعد ، كشأنه كل ليلة ...

ونسوس : خليك به أن يلزم الدار... العيون ماثرة في كل ناحية ...

رواح : إنه يضيق بمجده طول النهار ، فلا يملك إلا أن يخرج

في الليل ليتنسم هواء البحر ...

تكفات : وإنه ليتطلع إلى البحر في شغف ، عله يرى ظلا لمركب

تابعه « بدر » ...

ونسوس : (عاقدا يديه خلف ظهره ، في جيئة وذهوب) : ليس

هناك من ظل « لبدر » ، أو لمركب « بدر » ... ما أعجب

أمر هذا المولى الخامل الكسلان ... كيف يبطىء

عناكل هذا الإبطاء ؟ خمسة شهور منذ بارحنا وها نحن

أولاء ننتظر أخباره على أحر من الجمر .

تكفات : لقد استمرأ حياة الترف هنالك ، فالهاه ذلك عن

مهمته ... أرفده الأمير إلى « الأندلس » ليتعرف

له الأخبار ، ويمهد له سبيل الرجيل ...

ونسوس : (يفكر ويهمهم) وما يدرينا ؟ ... أخشى أن يكون

قد لقي حتفه ..

« ميمون » الغلام يقدم مهور الأناض .

فيستجوبه ولدوس

« ميمون » ... ما وراءك ؟

ميمون : أنباء لاتسر ...

رواح : (مغممة) تبا لك يا طائر الشؤم ...

تكفات : قل يا « ميمون » ..

« ميمون » يسقط على الأرض من الاعياء

ميمون : شربة ماء ... شربة ماء ...

« رواح » تجلب له قدحا ، فيب ما فيه عبا .

ونسوس : هابك يا « ميمون » ؟

ميمون : قدمت من المدينة أعدو على التو ...

تكفات : من المدينة ؟

ميمون : حيث بعث بي سيدى « ونسوس » ، أتصيد أحاديث

القوم فى جُنْح الليل ...

ونسوس : وماذا تصيدت من أنباء ؟

تكفات : قل ... عجل ...

ميمون : أنباء بالغة السوء ...

رواح : (متفرعة) يا لله !

ونسوس : تكلم يا قى ...

ميمون : الأمير « عبد الرحمن » ...

الجمع : (مذعورين) ماله ؟

ميمون : (في عزيل) قبضوا عليه ..

« رواح » تكاد تناله على
الأرض ، فتسد جسدها إلى الحائط .

ونسوس : أوائق أنت بما تقول ؟

ميمون : بعني رأسي رأيت .. في زقاق من أزقة « سبتة » ،
محدقا به الجند ، مسوقا إلى دار الإمارة ...

تكفات : يا للذكبة ... يا للضيعة ...

رواح : (باكية ، عاليه الصوت) هذا وهم ... هذا كذب !

يرى « عبد الرحمن » ملثما ، قد اندلت
حاشية عمامته على عينه اليسرى ، ولا
يلت أن يلقى عنه وشاحه . وينزع لثامه .

تكفات : الأمير ... الأمير ...

ونسوس : « هو هذا ... إى والله ! »

ميمون : (مخنوق الصوت ، مرعش النبرات) وربى لقد شهدته
في « سبتة » وقد أهدق به الجند ...

« ونسوس » يجتذب سوطا معلقا على
الجدار ، ويرفقه في وجه « ميمون » ،
موشكا أنت يهوى به على جده ،
فيجده الأمير « عبد الرحمن » ...

عبد الرحمن : خل عن « ميمون » ... إنه صادق فيما أخبر به ... لقد

أخذ الجند من حسيبه « عبد الرحمن » ... إنهم لا
يلدحون أحدا تقع عليه شبهة إلا قبضوا عليه ...
لست أدري فيم هذا العنت والاضطهاد ؟ ... لا أنا
بطامع في إمارة أو ملك ، ولا أنا مضمحل لأحد من شرا
رواح : (في احتياج) كنت واثقة أنهم لن يستطيعوا أن
ينالوك بسوء ...

عبد الرحمن : وما بيعت هذه الثقة يا « روح » ؟ ...
رواح : (متحمسة) أنت يا مولاي لست كسائر الناس ...
عبد الرحمن : (شتبا ، يحدق إليها) وماذا أكون إذن ؟
رواح : (مسجلة جفنيها ، تهمهم) أنت نسيج وحدك ...
إنك معوذ !

عبد الرحمن : (بقرقه) معوذ ... وأين مكان التعويذة مني ؟ إن
لا أحمل شيئا من الأحجية أو طلاس السحر !
رواح : (رافعة البصر ، جبهة الصوت) ورب البيت
إنك لمعوذ ...

ونسوس : « هو هذا ... إى والله ! »
عبد الرحمن : وأنت أيضا ترى ألى معوذ ؟
ونسوس : أنسيت يا مولاي قول « مسلمة بن عبد الملك » ، فيك ،
لقد قال لجدك « هشام » ، وأنت يومئذ طفل ...

عبد الرحمن : أعد عليّ قوله يا ونسوس ...
ونسوس : قال « مسلة » مشيرا إليك ، هو هذا ... إى
والله ، : « سوف يتداني له الأمر ، وقد عرفت
العلامات والأمارات في وجهه وعنقه » .
عبد الرحمن : ليس ثمة من علامات ولا أمارات .. طالما
استوضحتها في وجهي وفي عنقي فلم أعر لها على أثر.
تكفات : (في جد) ولكنها لم تغب عن « مسلة » ... لأنه
رجل ألمى ذو فراسة وفطنة .

عبد الرحمن : وبماذا تؤولون قوله ؟
ونسوس : ليسكون لك شأن أى شأن .
عبد الرحمن : (مناجيا نفسه) أى شأن تعنون ؟ غاية ما أصبو
إليه مقام طيب أمين ، أنجو فيه مما يلاحقنا به العباسيون
من نكبات ، ولكنى لا أجد إلا المكاره تحقيق
بي ... الأمراء يوجسون خيفة منى ، ويتربصون
بى ، وجنودهم يقفون لى بكل مرصد ...

ينحرو نحو المستطرف ، فيلقى بنظرة
على البحر ، ثم يجد صرعه ، مشيرا إلى
الأفق ، قائلا في حمية

أليس هذا شراع مركب ؟ ... انظروا ...

الجمع يتأخرون على المستصرف ،
أبصارهم شاحصة

تكفأت : أين الشراع ؟ لا أبصر من شيء .

ونسوس : لعلها موجة تعلو ...

عبد الرحمن : (لرواح) انظري أنت ... حذقي ... فإن لك عين
الصقر ...

رواح : (تغمغم) لا موجة ولا شراع ..

« ونسوس » و « تكفأت » يتادلان النظار ،

فيرفع « ونسوس » إصبه إلى جفنه يشير

إلى أن « عبد الرحمن » مكفوف العين اليأس

عبد الرحمن : لعل الشراع قد اختفى ... لقد رأيت شيئاً
كالشراع ... ما من ذلك بد ...

يدبر عن المستصرف ، وهو يحس

عينه اليسرى خلسة ، وقد انسدلت

عليها حاشية عمامته

يختار بضع خطوات ، وهو يهمهم :

لم يعد « بدر » بعد ... ويحبه من مولى فاتر الهممة
كسول ...

يتابع خطاه

صوت : (من خارج) يا عالم الغيب ... يأمسير الأقدار ...

« عبد الرحمن » ينصت

الصوت يردد قوله .

ونسوس : هذا منارة ، . . . الرجل المجدوب . . .
تكفات : المتجم ؟
رواح : الساحر ؟
عبد الرحمن : سمعت عنه حكايات لا تخلو من طراقة .
ونسوس : إنه جواب آفاق ، لا يقر له قرار .
تكفات : يزعم أنه شهد فتح الأندلس ، وأنه كان في جند
طارق ، . . .

منارة : (من خارج) يا عالم الغيب . يا مسير الأقدار . . .
الريح ترف
تكفات : سبحان عالم الغيب ، ومسير الأقدار . . .
عبد الرحمن : (مفكرا ، يجمع) الغيب . . . الأقدار !
ونسوس : ألا تؤمن بسلطان المقادير يا مولاي ؟

« عبد الرحمن » صامت عليه سهوم .
« ونسوس » يابح قوله
المقادير هي التي ضمنيت لك السلامة ، يوم سبحت
بالفرات هربا وجنود العباسيين يطلبونك ، ويحاولون
الظفر بك ، حتى انتهى بك المهرَب إلى هذه البقعة
من « إفريقيا » ، بعد أن اجتزت صحراء الشام ، ومرقت
من مصر ولوىيا وتونس .

« عبد الرحمن » يطوف بصره في الجمع .
عبد الرحمن : (ليمون) اذهب يا « ميمون » فأتنا « بمنارة » ...

« ميون » ينصرف

رواح : أخشى أن يكون من عيون الأمير « ابن حبيب » .
عبد الرحمن : إنكم تؤمنون بالمقادير ... إذن فدعو المقادير تجري
في أعتها !

يتداني من المستعرف ، مرسل نظرائه
إلى البحر ، وهو يهمهم ...

« بدر » ... « الأندلس » ...

ونسوس : ستتحقق رغبتك في الرحيل ، وستجدني « الأندلس
كل ما ترجوه من دعة وأمان » .

« رواح » تنصرف

عبد الرحمن : إن موالينا هناك كثير ... لقد أصبحوا ذوى حول
وطول ، لهم عزة ومَنَّة ...

ونسوس : ولا تنس تراث جدك وهشام ، من الضياع والعقار ...
إنه هنالك حق لك لا ينازعك فيه منازع .

عبد الرحمن : (مصدقا) نعم ...

يصمت لحظة

الرحيل ... الرحيل ... لم يعد لي مقام هنا في

« إفريقية » ... لقد فقدت العون والناصر ، حتى
أخوال البربر من ذوى قرابة أمى لم يشدوا أزرى .
ونسوس : البربر ... ما أبين عذرهم فى القعود عن نصرتك ،
وتوفير الأمن لك ... إن شملهم شئت ، وإنهم
لا يرجعون فى أمرهم إلى زعيم ، ولا قبل لهم بسطوة
أمير البلاد « ابن حبيب » .

عبد الرحمن : لك أن تدافع ماشئت عن عشيرتك يا ونسوس ،
ولكن ليس لك أن تدافع عن موقف أخوالى منى ،
إذ تخلّوا عني ... إن مكانهم منى قريب فى جنوب
المدينة ، بيد أنى لا أجد منهم نجدة ، فهم لا يبالون
بى ، هلكت أو نجوت !

« ميمون » يقدم ، مصطحبا « منارة » ،

وهو رجل طائر الوجه ، أبيض

اللبية ، متوكئا على عصاه ...

ونسوس : (وقد مال على « ميمون » يسر إليه قوله) خذ
مكانك فى العليقة ، وراقب الطريق .

« ميمون » يصرف . « منارة » يقعد

للى « عبد الرحمن » فى خطا وثيدة ، ثم

يقف فباته ، محدقا إليه هنبه ...

منارة : (وهو يتقسم) سلام على الأمير « عبد الرحمن » ...

عبد الرحمن . (معايشا) ومن أوهمك أنى ، عبد الرحمن ، ؟
منارة . أنا ، منارة ، أيها الأمير ... لى نظرة ثاقبة تكشف
الحجب ... سلام على الأمير ، عبد الرحمن ، ...
الأمير الأموى المصمم !

عبد الرحمن . (مدهوشا) وعليك السلام يا ، منارة ، ...
منارة : لآى أمر دعو تمونى أيها الأمير ؟
عبد الرحمن : لنسألك عن نفسك ، ماذا تصنع فى دنياك ؟
منارة : أعيش تارة مع الأحياء ، وتارة مع الأطياف
والأرواح ... طورا تمس قدمى أديم الأرض ،
وطورا أعلواهما منى إلى أوطان النجوم فى أبراج السماء .
عبد الرحمن : وما شأنك بالأطياف والأرواح ، وبأوطان النجوم
فى أبراج السماء ؟
منارة : أتعلم التنجيم ، لىكى أستشف الغيوب ، وأعرف
طوالع الأمور ...

« رواح » قبل حاملة صينية بها سجاج الطعام

عبد الرحمن : ما هذا يا « رواح » ؟
رواح : قليل من الطعام تتصبّح به يامولاي .
عبد الرحمن : أحسنت !

« رواج » تدنو من « عبد الرحمن »

فتضع الصينية بين يديه

« عبد الرحمن » يقول « لنارة » : . . .

صناعة التنجيم . . . ما ضلها من صناعة !

منارة : حسبي منها أنها تنيلني لقمة العيش .

عبد الرحمن : أكل ما يفيل لقمة العيش سائغ مقبول ، ولو كان

الحسيس المرذول !

منارة : الحسيس المرذول أن أبيت على الطوى أيها الأمير . . .

عبد الرحمن : هذا حق . . .

منارة : هل تسمع لى أيها الأمير ؟ . . . ليس ثمة من شيء

مرذول أو مقبول . . . هنالك شيء واحد لا ثانى

له . . . أن نبلغ الغرض الذى نسعى إليه ، بأية

وسيلة تكون .

واسوس : بأية وسيلة تكون ؟ يا قبحها من خبطة يدين بها

المرء الكريم . . .

منارة : أقبح منها أن يخفق المسعى ، ويذهب الجهد سدى . . .

عبد الرحمن : أحكيم أنت يا « منارة » أم رجل من المتكالبين

على الدنيا ؟

منارة : كما تريدنى أن أكون أيها الأمير . . . فإنى على وفق

ما تقتضيه ملابسات الحياة ...

زفيف الرياح يشتد
« عبد الرحمن » يتداني من « منارة »
عفافه

عبد الرحمن : أتحنن التنجيم يا « منارة » ؟ ...

منارة : جريبي تر العجب ...

عبد الرحمن : حديث المنجمين هراء ، وإنما عملهم من وحي
الشيطان ...

منارة : ليس المجمعون سواء .

عبد الرحمن : لقد زعم أحدهم لأمير البلاد هنا أني قدمت وإفريقية .

لكي أزيله عن كرسيه ، وأفتك به . ويعلم الله
ما قدمت إلا لكي أبتغي لنفسى حياة أمن وسلام .

منارة : دعني أنظر طالعك ... لست كمؤلاء المنجمين

الآفاكين ...

ونسوس : فلباذن له الأمير في أن ينظر الطالع ... فدا في .

ذلك ضير .

« عبد الرحمن » يعد يده إلى العيشية :

فيتناول « ضفة »

عبد الرحمن : (لمنارة في استخفاف) ما بدا لك فافعل ...

منارة : (وهو يرقب «عبد الرحمن» يلوك مضغته) لا أستطيع
أن أتجم وبطنى خواء... ألا يعلم الأمير أن الطعام
يضرم في الرأس نار الفطنة والذكاء ؟

ونسوس : إن الطعام إذا ملأ المعدة طمس الذهن وعطل
الفكر...

منارة : هذا منطق الأثرياء من أمثالك البخلاء !

«عبد الرحمن» يقدم له صحفة من الطعام
فيترف منها ويبدأ شديقه

ونسوس : يالك من شره لا تقنع .

منارة : (والطعام في فيه) القناعة شر... إياك أن تركن
إليها أبدا...

يزدرد الطعام على عجل ، ويتقدم موت
«عبد الرحمن» قائلا له :

أبسط لي كفلك...

«عبد الرحمن» يمد إليه يده

«منارة» يتأمل أسرار الكف ، ثم

يقول :

نست واجدا مأواك هنا ، إنما المأوى هناك...

بطليل الفرس في الكف وهو صامت

تكفات : ألا ترى شبح مركب يأتي من « الأندلس » ؟

منارة : مالي وللركب ؟

..... العاصفة تزجر

..... « منارة » بتابع قوله

هنا غيوم ... ظلمات ... أعاصير... وهنالك المقر !

عبد الرحمن : أمقدور لي أن أعيش في أمن وسلام ؟

منارة : (وقد رفع هامته) لا تفتأ تدبر على لسانك

هذا الكلام !

يطرس في الكف ، ويتابع قوله ..

الأرض تمهد تحت قدميك .

تكفات : أئمة خطر يحقق بالأمير ؟

منارة : (لعبد الرحمن) الخطر جائم أبدا حواليه ، حائق دائما

به ، إنه جزء من حياته لا يزول ولا يحول .. الموت

منه يقترب !

« ونوس » و « تكفات » فرعان ،

« رواح » تحبأ وجهها بين يديها من الجزع .

« عبد الرحمن » مبتسم لا يبدو عليه روع .

« منارة » واصل قوله :

حقا ... الموت يقترب ... ثم يلتعد ... ثم

يعود ...

عبد الرحمن : (مقهقها، يجذب كفه من يد منارة) وما الحديد فيها
تقول ؟ نحن دائما مع الموت في جزر ومدّ ...
تكفّات : (لمنارة) أنت لا تستأهل ما التهمت من طعام ...
منارة : أتستكثرين على لقيات لا تسمن ولا تقنى من جوع ؟
تكفّات : ويحك من شره منوم .
مناره : أنا ؟ هاإذا ضامر البطن ، ليس لى ماللك من
كـرـش ...

« تكفّات » ترفع يدها فى وجهه ،
فتعرف عنها ، ويواصل قوله : .

لكأن هذه الكرش العظيمة تحوى توأمين ، ولكأن
التوأمين بتضاربان ، يحاول كل منهما أن يسبق أخاه
إلى الخروج !

« تكفّات » تهدده بيدها « فيجسى منها
خلف «عبد الرحمن»

عبد الرحمن : (مقهقها) حقاً يا « تكفّات » . . . صدق « منارة » . . .
لكأنك تحملين توأمين . . .

تكفّات : (متأففة) مولاي !

« مبيون يحضر منعورا أشداً الفصر . »

ميمون : الشرطيون مقبلون على الدار ، وقد أحكمت إغلاق
الباب

الجمع : (يضطربون ويهمهمون) رجال الشرطة ...
رجال الشرطة ...

« منارة » واجم لا يتحرك
« عبد الرحمن » توسط القاعة ، ثم
يهرع فجأة إلى ناحية منها ويخرج
سيفا أخضاه في إحدى الروايا ثم
يسل السيف ليدافع عن نفسه ، ولكن
فكرة تدبج في خاطره فيمسد
السيف إلى مكانه
باب الدار يقرع بشدة
« عبد الرحمن » يلوح عليه أن فكرة
أمت في رأسه

عبد الرحمن : (لونسوس) استعد لتفتح الباب لهم .

ونسوس : مولاي !

عبد الرحمن : أصغ لما أقول ، وافهم ما أعني .

ونسوس : إن جوارحي كلها آذان صاغية لك .

عبد الرحمن : يجب عليك أن تعلم أن زوجك حامل ...

ونسوس : « تكفات » حامل ؟ ... كيف ؟

الباب يقرع

الرياح ترف

« ونسوس » و« تكفات » يتداولان

النظر في حيرة ودهشة

عبد الرحمن : نعم ... « تكفات » حامل ... على وشك أن تضع ا

دق الباب يشتد

عبد الرحمن : (لونسوس) كل ما أطلب اليك فهمه أن

تصرف في الأمر على أن زوجك حامل وترتقب

ساعة المخاض ... أعرفت ؟

أصوات : (من خارج) افتحوا ... افتحوا وإلا حطمتنا

الباب .

« ميمون » يتصرف

« عبد الرحمن » يجذب وشاحه فيجعله

إزارا « تكفات » يترايان ساقيهما،

ثم يجلسا على مقعد في زاوية من القاعة،

ويقول لها :

مكانك لا تبرحيه ... ولتتوجعي مما يأخذك

من المخاض ...

« تكفات » تجلس طائفة لا تنبس، وند

ملكها الحيرة

« عبد الرحمن » يلتفت إلى « رواج »

فيقول لها :

وأنت القائمة على رعاية الحامل ... لا تنسى أن

تبردى رأسها بالماء...

« رواح » تجلب إلّاه فيه ماء ، وتجلس
بجوار « تكلمات »

عبد الرحمن : (لونسوس) اذهب فافتح الباب .

« عبد الرحمن » ينظر إلى « منارة »
قائلاً :

وأنت ؟

منارة : (على الفور) أنا المنتمم على رأس الحامل بالعزائم
والرئىقى ، حتى ييسر لها الله أن تضع ... ولكن
أنت ... أنت ...

عبد الرحمن : أنا ؟ أنا الجنين !

« عبد الرحمن » يقلب إزار « تكلمات »
في غير مبالاة ، ويكشف بين قدميها
متوارياً تحت الشاب
« صاحب الشرطة » يحجم النافذة في شرفة
من أعوانه ، وقد أحاطوا « بونسوس »
و « ميون »

صاحب الشرطة : (لعريف الجند ، يشير إلى « ونسوس » و « ميون ») :

أو ثقبهما واطرحهما بجوار الباب .

العريف : أمر سيدى مطاع .

« ونسوس » و « ميون » توثق أيديهما

وأرجلها ويطرحان أرضاً عند الباب .
صاحب الشرطة : (للعريف) انفض الدار نقضاً ، ولا تدع فيها
شيراً إلا فتشته ... إياك أن يفلت من يدك
الأموى الهارب . أسمع أنت ؟
العريف : أمر سيدي مطاع .

ينصرف في ثلة من الجند
صاحب الشرطة يذرع القاعة مع يدي الجند
باحثين
يقف تمها . « تكفات » محدداً إليها .
تدح الفرور
« تكفات » تتوجع كأنها ضربها الطلاق ،
وعلى جبينها يتصبب العرق من الخوف
« رواح » تمسح وجهه « تكفات »
بخرقة مبللة
صاحب الشرطة : (ملتفتاً إلى « ونسوس ») ماذا في الأمر ؟
ونسوس : أما أعليتك يا سيدي أن زوجي حامل ، على
وشك الوضع ؟
رواح : (رمي منهمكة تنضح جبين « تكفات » بالماء)
لأريب في أنها ولادة عسرة !
تكفات : آه ... آه ...

صاحب الشرطة يتفحصها على مقربة ، لرفع

بصره على « منارة » وبين يديه بحجرة
يرأى عليها الرماد ، فيقصد اليه . .

صاحب الشرطة : (لمنارة) ما أتى بك هنا يا « منارة » ؟

منارة : المقادير يا سيدي . . .

صاحب الشرطة : أرايت « عبد الرحمن » ؟ ... إياك أن تكتم
الشهادة . . .

منارة : أى شهادة أكنم يا سيدي ؟ ... لقد دعيت إلى
هذه الحامل التى تعسرت ولادتها . لأعينها على
أمرها بالعزائم والرقى .

صاحب الشرطة : ألسنت تعلم أنك فى دار « عبد الرحمن الاموى » ؟ ...

منارة : وما شأنى بأن أعلم هذا أو أجهله ؟

ونسوس : (لصاحب الشرطة) الدار دارى وحقك ، ولا

علم لى بمكان « عبد الرحمن » . . .

صاحب الشرطة : كذبت وايم الله . . . لقد رُئيت « عبد الرحمن » ،

يدخل هذه الدار ، فهو فيها لم يبرح . . . وإنك

ملاق حسابك أعسر حساب ، وعقابك أشد عقاب .

يهجم على « منارة » بنذرة ، وطرحه أرضا

ثم يظل رقبته بالسيف ، ويقول له :

إنى قاتلك لا محالة ... أقر بمكان « عبد الرحمن » ...

منارة : غوثك يا إله العالمين . . . غوثك يا إله العالمين . . .
صاحب الشرطة : إذا لم تقر من قورك ، فأبى ضارب عنقك . . .

تحس في هذه اللحظة حركة واضحة من
ناحية « تكفات »
يتجه صاحب الشرطة فينتبه إلى « تكفات »
ويبتل أمامها ، تنفضا إياها ، جامر عينه
الخوف يلك « تكفات » فيتأمل من
جيبها المرق ، فحمد « رواح » إليه
تمسحه منمكة وقد ملأ غشاها الذعر .
صاحب الشرطة يرتاب في الأمر ، فيقدم
خطوة ويعر بسيفه وشاح « تكفات »
يريد أن يرفعه

منارة : (صائحا) من كشف ستر الخواصل كشف الله
ستره يوم الدين !

صاحب الشرطة : لأفطمن لسانك يا شيخ البسوء !

منارة : لأسلطن عليك الجن يا فاضح النساء في
خدورهن . . .

يضرب الأرض بقدميه ، وهو يتم :
أهيا ، شراهيا ، أدوناى ، أصباوت ، أل شداى ،
جليا سريعا ، قدوس مسبوح ، رب الملائكة
والروح !

ياخذ بين ألامله قليلا من البخور ، فيلقى
في الحجرة به فتسمع له قرعة على النار،
وترتفع منه سحائب الدخان
الجو يصف بفتة ، فيصف الرعد ،
ويلع البرق
« منارة » متخطف في عزائمه ورفاهه ، يردد
في لهجة رابعة كلماته السالفة

صاحب الشرطة : (متجلداً ، وقد بصق في وجه « منارة ») إلى
جهنم أنت وجنك وعفاريتك !

تدرك خشية واشفاق ، فيتراجع من
« نكفات »
عريف الجند يقدم مضطرباً ما يرى ويسمع

العريف : (لصاحب الشرطة) لأأحدث في الدار ياسيدي ...
صاحب الشرطة : كيف ؟
العريف : لا أثر للأموى البتة ... لعلنا أخطأنا الدار ...
صاحب الشرطة : (صائحاً) فلنمض إذن إلى الدور المجاورة ...
عسى أن نظفر به .

يصرخ ، فيتبعه الأهوان ، ومن وراءهم
« رواج » . يسمع صرير باب ينلق ..
« رواج » تورد إلى القاعة : تنضم الوشاح
وتتظار

رواج : (لعبد الرحمن) لقد أدبروا عن الدار يا مولاي ...

« عبد الرحمن » يخرج من تحت « مسكيات »
فتنهض متفائلة ، ورأسها يدور . . .
« رواح » تقصد الى « ونسوس » و
« ميخون » فتفك عنهما الوثاق . . .
يهضان وقد بلغ بهما الأعباء كل مبلغ .
« ميخون » يتصرف

منارة : (بهمهم في صوت أجش) لقد ابتعد ... ابتعد ...

يتداني من « عبد الرحمن » وهو مستلق
مبهور الأفاس ، فيتابع له قوله :

ابتعد الموت ... أما قلت لك إنه يقترب ، ثم يبتعد ؟

ونسوس : حقا إنها لمعجزة . . .

ينظر إلى « عبد الرحمن » قائلا له :

الله حافظك . . . الله حارسك .

منارة : هي المقادير . . .

« رواح » رانية الى « عبد الرحمن » في

توله ، كأنها عابدة ينظر الى معبود . . .

عبد الرحمن : (وقد ملأته ثقة وعزم ، يقول « لمناره » .)

لماذا لم تكشف أمرى ، فتصيب جائزة « ابن

حبيب » لمن يدل على ؟

« منارة » صامت ، يدها تهبان برذاذ الجحمة

« عبد الرحمن » يواصل قوله

اصدقنى ، لماذا لم تكشف امرى ؟ ماذا يزهدك
فى الجائزة ، وإنها لجديرة أن تغرى مثلك ؟

منارة : (وقد علا بهامته) والله لقد هممت أن أفعل ...
عبد الرحمن : وماذا أبطأك ؟

منارة : لا أدرى أى شئ اعتقل لسانى ، فلم أطلق أن
أبوح بمكائك ...

رواح : (عائحة . وعيناها معلقتان « بعبد الرحمن »)
إنه القدر ...

عبد الرحمن : (مصدقا ، وكأأنه يسأل) القدر ١٩ القدر ١٩
ونسوس : إنك حقاً رجل الأقدار ... لقد اختارئك
لأمر عظيم !

عبد الرحمن : (وقد نهض فى وسط القاعة ، وترامت عليه
علائم السكوة والحساسة ، يحير بقوله) إني لأذكر
الآن تلك الساعة التى كنت فيها على ضيعة الفرات ،
وفرسان ير العباس تلاحقنى أنا وأخى ، فإذا
أنا أنجو من أيديهم بأعجوبة ، عل حين كان أخى
عائراً لحظ ، فناشئته السيوف على مرأى منى ...
واليوم يحدق بى رجال « ابن حبيب » فيطمس
الله أعينهم عنى ، فيخطئون مكائى ... وقعت

لأعجوبة مرة ثانية ... أيقنت أن القدرَ كان في
عوني ، يعصمني من الخطر الداهم ، ويحميني من
السيف المسلول ... ولكن الغد ... ماذا يحمل
لي القدر في غدى ١٤

«ميمون» يهرول إلى القاعة متهلل الوجه.

ميمون : مولاي ... قديم « بدر » من « الأندلس » ...
ونسوس : الله أكبر !

منارة : هذه طوالع الغد ... هذه تباشير نهاره !

يظهر « بدر » في بزة السفر، أشعث أغبر

عبد الرحمن : (عالي الصوت) « بدر » ...

بدر : هأنذا ...

« عبد الرحمن » يقبل « عليه فيحضنه »

« بدر » يقول « لعبد الرحمن » ...

مولاي .. سيدى ... أميرى ...

«ميمون» ينصرف إلى العلية ، ليرقب

الطريق

عبد الرحمن : (في تشوف) ما عندك من نبا ؟ قل ...

عجل ...

بدر : كل الخير يا مولاي ... أنصارك كثير ... أقسموا
لك عيني الولاء ، وإنهم لير تقبون مقدمك على شوق.
عبد الرحمن : كنت وانقا أن الامر كما تصف .

« ميون » يرجع الى القاعة
ميمون : رأيت الشرطيين يحومون حول الدار .
عبد الرحمن : ليست وجهتهم دارنا ..

يقول « بدر » :
إناراحلون الساعة إلى « الأنداس » ...
« رواج » تنظر الى « عبد الرحمن »
بدر : (في دهشة وحيرة) الساعة يا مولاي ؟
عبد الرحمن : الساعة .. اللحظة ...

يقبل على « ولسوس » و « تكفات »
و « رواج » و « ميون » قائلا لهم ..
عزيز على نفسي أن أفارقكم اليوم .. لقد كنتم لي
عونا أي عون ... لا أنسى صنعكم بي ما حييت ...
هلموا فأعدوا لي عدة الرحيل ...

يتصرف الجميع ، فلا يبقى في الساعة الا
« عبد الرحمن » و « منازة » ...
« عبد الرحمن » متأهب للخروج ...

منارة : (رافعا يده إلى «عبد الرحمن») خذني معك ...
عبد الرحمن : أنت إلى «الأندلس» ؟
منارة : نعم ... أصاحبك ...
عبد الرحمن : ولماذا آخذك معي ؟
منارة : ربما أفدتك ...
عبد الرحمن : خير لك أن تبقى حيث أنت ...
منارة : لعلك تحتاج أن أنظر لك طالعك ...
عبد الرحمن : لقد عرفت طالعي ...
منارة : وما هو ؟

عبد الرحمن : قدر يدفع بي إلى الآمام ، لا يستطيع أن يرده
أحد ، وعناية من الله تحميني أن ينالني مكروه ...
ينها للفضى
« رواح » وقد عادت متسللة إلى القاعة
وسمعت طرفا من هذا الحوار . تتقدم
من «عبد الرحمن» في خطوات رفيقة .
وعيناها موصولتان به كأنهما مسمورتان
رواح : أفنى غنية أنت عن خادم تُعَسِّنِي براحتك ؟

عبد الرحمن : تريد أن تصاحبيني ؟
رواح : (في ضراعة) هذا مطعم نفسي ... خذني معك ...
تبط على قدميه . وتمسك بهما متوسله
« عبد الرحمن » ينفضها

عبد الرحمن : (وهو يتوسم « رواح ») أنت صغيرة يا « رواح » ،
ولكن الفتنة تستبىظ فيك . . . إن شُغلتُ بك
ظلمت همتي ، وإن شغلت بهمتي عنك ظلمتك . . .
لا اصطحبك يا « رواح » !

يتفقد الوشاح . قف وفقة المتصر . . .
يتقدم « منارة » إلى الحبأ الذي أخفى فيه
« عبد الرحمن » سيقه ويخرجه فيقدمه إلى
« عبد الرحمن »
« عبد الرحمن » منجبالسيف عنه ، يقول :

سنت في حاجه إليه ، آمنت بأن حظي في صعودا

منارة : ربما التقينا . . .

عبد الرحمن : هيهات . . . فالشقة بعيدة . . .

يتلم . . . يرخي حاشية العمامة على عينه
اليسرى ويعضر نحو الباب ، ثأت انحطو .

منارة : عسى أن يتيسر اللقاء ، وإن بعدت بيننا الشقة . . .

من يدرى ؟

عبد الرحمن : حقاً من يدرى . . . إنها الأقدار . . .

« منارة » و « رواح » يتبادلان
النظرات
« رواح » تهرع إلى (منارة) فتستند
رأسها إلى صدره . ، وقد استبذت بها
سورة من تحبيب

لفصل الثاني

بعد شهر من حوادث الفصل الأول .
قرية من أعمال الجزيرة الخضراء في
جنوب «الأندلس» تسمى «طرش» .
قصر « لبيد الله عثمان » يحضه
حصانه ، فيه يجتمع جنوده وأعدائه .
«سحر» الجارية في ردهة القصر تلت
حذرة

سحر : ليس هنا من أحد...

تعد ذراعها ، وتضم أصابعها مرتين
تستدعي شخصين
«فجر» و «ضحى» الجاريتان بدوان .
«سحر» تستأنف قولها

الردهة خالية ، فلنغتنم الفرصة ، ولنحدث هنيهة في
أمان ... إيه يا «فجر» ... إيه يا «ضحى» ...

فجر : لا جديد في الأمر يا «سحر» ... مازلنا في شدة وضيق ...
جو خائق يأخذ بالأنفاس ... ماذا بعد هذه الحياة

الصارمة التي نحيها على قلق ...

تتدأبصارهن إلى غارق وحشايا وثيرة ،
على بسط وسجادات فاخرة ...
يتجهن إليها . ويرتمين عليها ...

ضحى : ما أنعم هذه النمارق والحشايا ... شد ما تمنيت أن أحظى
بضجعة عليها !

تطلب مستتمة

فجر : حقا لقد أصبحت حياتنا في هذا القصر لا تطاق ...
سحر . أقصر هو ؟ أين ما فيه من مباهج القصور ؟ بُعداله من
حصن كريبه ، كله جهامة وعبوس !

ضحى : إنه ثكئة ... أهلها جند، وزوارها أمراء الجيش !
سحر : من يقول إننا في أزهى بقاع الاندلس : الجزيرة الخضراء ؟
فجر : من يقول إننا من جوارى ابن عثمان ، عظيم بنى أمية ؟
ضحى : عظيم ... ليس من عظيم فيه إلا كرشه المبارك ... إن هذه
الكرش المبهجلة تسبقه دائما لتفسح له الطريق ...

فجر : ما أشبهه عنسدى بقراب متفخخ الأوداج ، يحجل على
الأسوار ، ويملأ الحصن بنعيقه البغيض .

تسير خطوات ، وهي تحاكي مشية ابن
عثمان ، وتكلم مصطنعة لهجته في الحديث

يا غلام... على بسيفي ومغفري...

«سحر» و «خبر» تتضحكان...

سحر : وأميرة القصور أخته ؟

خبر : نمرة شرساء ، في إهاب هيرة لينة الملمس ، يكاد النسيم
يخرج خدها الأسيل...

تعالى « أميرة القصور » في النطو
والتحدث

أنشقين عطرا يا جارية... أبسطي على الخمار يا جارية...

«سحر» و «خبر» تتضحكان...

ضحى : ماذا أفدنا من المقام في هذا المكان ؟ بأي شيء حظينا
من «ابن عثمان» ؟ هل أنس ليلة بجارية من جواريه ؟
هل ابتسم لواحدة منافى روحه أو غدوة ؟ إنه مصروف
عنا ، لا يكاد يولينا لمحمة عطف أو اهتمام . لقد شغله ضيفه
نزول القصر الأمير «عبد الرحمن الأموي» . فهو
يمهد له الأمر العظيم... إمارة «الأندلس» .

«سحر» تحدى «ضحى» بنظرة لها معنى

سحر : (متأوهة في سخرية) واهما للقلب من هذا الأمير... :

«ضحى» تذفها بأحدى المشاي...

«سحر» يتابع قولها :

أنتكرين أنك تنهدين كلما لمحت الأمير عبد الرحمن ؟

: أنتهد إشفافا عليه عما يتعرض له من الأخطار ...

وساعة ، ونبل ... حقا ما أبسّين الإمارة في طلعتة ،

وما أجدره بحكم « الأبدلس » .

: (متضا حكة) ماذا يا ضحى ، ؟ أحق أن تمقين الأمير

بنظرة هيام ؟

: مالي وللأمير ؟

: « أميرة القصور » ، أخت « ابن عثمان » مشغوفة به ...

: ربما كان ذلك حقا ...

: هذا أمر لا ريب فيه ... ألم يتواعدة على الزواج ؟

: ولم لا يكون قد اتخذ الزواج سبيلا إلى تحقيق مآربه

في الإمارة والملك ؟ « أميرة القصور » ذات ثراء ،

ورثت من زوجها المال العريض . ولأنها لتبذل

ثروتها في نسمة الأمير ...

: وما بينهما من حب ؟

: (ساخرة) ما يكون لفت مثل « عبد الرحمن » في

زهرة عمره ، وزهوة شبابه ، أن تسنهويه امرأة في

تمام الأربعين ، مثل « أميرة القصور » ... أقسم إن

قلبه من قلبها بعيد !

جفر : (هازمة) أحسبه يهيم بك أنت الهيام كله ... !
 سحر : (مشاركة في الهزؤ) : سيجعل منك أميرة والاندلس ،
 حير ينزع الإمارة من صاحبها « الفهرى »
 صهى : (ضاحكة) إذا تحقق هذا فلن أنسا كما ... لا لحقنا .
 بحاشيتى .

سحر وجفر : (ساخطتين) حاشيتك ... على رسالك يارب الخاشية !
 يغاذفن بالوسائد
 « ابن عثمان » و « بدر » يقدمان ..
 « بدر » تصيه إحدى الوسائد فيترغ
 ويحط
 الجوارى يفرق هاربات
 ابن عثمان : ماذا تفعلن ؟ سأنزل بكن عقالى . سوف ترين ...
 « بدر » ينفض متحاه على نفسه ..
 « ابن عثمان » ينظر إليه ضاحكا ...

يا لك من خوار يا « بدر » ... أتكبو من وسادة
 تقذلك بها جارية ؟

بدر : لعنة الله على النساء !
 ابن عثمان : ولم تستنزل عليهن اللعنة يا « بدر » ؟
 بدر : ياسيدى يا « ابن عثمان » ... إنهن دائماً فى نزاع
 وشجار ...

ابن عثمان : وهل يختلفن عن زعمائنا وأمرائنا في شيء؟ هم دائماً في تغالب واحتراب ... وهذا ما نذرت نفسي للقضاء عليه .

بدر : (متثابراً) أسأل الله أن يذلك ما تمنى ياسيدي يا « ابن عثمان » ... ليست بغيتك هذه إلا بغية أميرنا « عبد الرحمن » ... ولكنني أصارحك بأن قرأنا الأحوال لا تبعث على التفاؤل ، لقد كانت إمارة « الأندلس » قريبة المنال من الأمير « عبد الرحمن » يوم حللنا هذه الديار منذ شهر مضى ... أما الآن فقد أصبحت حلماً من الأحلام ...

يتأهب في صوت زعج يرتفع له « ابن عثمان »

ابن عثمان : (صائحاً في حدة) وكيف يتاح لك التفاؤل ، وأنت على هذه الحال لا ينقضي لك تشاؤب ؟

بدر : وماذا في أن أتأهب ؟ أضير هذا مطلب الإمارة ياسيدي ؟ ابن عثمان : كل الضرير يا « بدر » ... مثل لعينيك جيشاً لا عمل له إلا أن يتأهب ، وقدر ما يكون من أمره .

بدر : أفى حسابك أنى لا عمل لي إلا التثاؤب ؟ ألسنت ترائي أنهض في جنح الليل ، والناس نيام ، أعتس وأجس ؟ على أنى وحقك ياسيدي لا أدري لماذا يحشمني الأمير

« عبد الرحمن ، هذا الجهد ؟ مم يخشى ؟ ألم يصلح
« الفهرى ، أمير البلاد على الأمان ، وعلى أن يخلد
إلى السكينة ، ولا ينزع إلى طلب الإمارة ؟

ابن عثمان : (محققا) أحسبت أن الأمر قد انتهى إلى ذلك حقا ؟
وأن الإمارة قد أفلتت من يد الأمير « عبد الرحمن » ؟
بدر . ألم يتم هذا في الاجتماع الذي ضم أهل الرأي وأقطاب
القوم وشهده رسول « الفهرى » ؟ ألم يرغب الجميع
في إثبات السلام والوثام ، فأقروا « الفهرى » على
إمارة البلاد ؟ ... أما أميرنا « عبد الرحمن » ...

ابن عثمان : (ساخرا) قيردٌ عليه ما ترك جده « هشام » من
ضباع وعقار . ويحيى في خفض من العيش وأطمئنان ..
يتابع قوله نائرا في نهيم

السلام ... السلام ... كلمة موهوا بها على
« عبد الرحمن » ليلفتوه عن مآربه الجسيم ، وخدعة
زينوها للباس ، لكي يثبطوا عزائمهم عن نهرة
الحق ... إن هذا « الفهرى » لا يصلح لإمارة
« الاندلس » ، فهو أعجز عن أن يخضع لشوكة الأمر ..
ويجسم ما بينهم من منازعات وأطماع ... لأنه
لا يستطيع أن يطيع بساطان الإقطاع . وإذن فلا سلام !

بدر : ولكن جيش الشام الذى ينضوى تحت لوائك أنت
وصهرك ، ابن خالد ، أقر رأى الجميع فى توطيد
الإمارة « للفهرى »

« ابن خالد » يقدم وقد اتهم إليه

حديث « بدر »

ابن خالد : إن جيش الشام جيشنا ، لا رأى له إلا ما نرى ،
ومتى أردنا أمرا كان طوع البسنان .

ابن عثمان : (معانقا ابن خالد) . مرحبا بك ... طالت عنا
غيبتك ... تركنا فى رقت نحن محتاجون فيه إليك ...

ابن خالد : كان حتما على أن أعود إلى قريتي ، لأقضى فترة بين
أهلى وولدى ...

ابن عثمان : ظننتك قصدت « أشبيلية » للقاء زعيم اليمنية
« أبى الصباح » ، تشدد مؤازرته لنا فى أن تتحد البلاد
بزعامه أمير قادر همام ...

بدر : لا ترجُ خيرا من « أبى الصباح » ... إنه حرياءة
تتلون ألوانا ... طالما ظفر منا بالهدايا والألطف ،
ولم يجرنا عليها إلا كراذب الوعود ... كيف يعين
على أن تتحد البلاد تحت إمرة زعيم واحد ، وهو إنما
يبحر المغنم من وراء الفوضى والانقسام ؟ ...

ابن خالد : لا تنس أنه في أهبة من جيش لجب ، آلاف
مؤلفة من عرب و أشيلية ...

ابن عثمان : لهذا كان علينا أن نستميله ، حتى تكفل عونه لنا على
انتزاع الإمرة من يده الفهوى ، بالعدة والعَدِيد ...

آذن يقدم

الآذن : (لابن عثمان) عُرِّفَ الجند ينتظرون مولاي .
ابن عثمان : (لابن خالد) تعال نتداول معهم الرأي .

يتصرفان

« بدر » يتطلى ويتأهب ، باديا عليه
الاعيا . متالك على منكأ ...

بدر : هنا أستطيع أن أنعم بغفوة طيبة ... ولكني ظمآن .

يسلو بهامته ، ويدور بعينه ، ثم يعاود
تراخيه ، قائلاً

لا أرى ظلاً لأحد ... من يسعفني بقدرح من شراب ؟

ينادى

يا من هنا ... يا أهل القصر ...

يصفق

ألا من مجيب ؟

« سحر » و « فجر » و « ضحى »

يتطلسن على بعد ، حذرات

« بدر » يحس وجـودهـن ، ويرفع
رأسه منلقائـة وسـعة ، فيتوادرين
عنه ، فيستلقى ثانية
الجواري يستأنفن التطلع
« بدر » يصيح »

عطشان ياناس ... شربة ماء !

الجواري يتوادرين
« بدر » يستبد به الخول : ويهـوم برأسه ،
ثم يستيقظ متاديا يطلب الرأى ، ثم يماود
التهميم ، ويخشاہ التزم ، حتى يجلو غطيـله
« ضحى » تقدم بقدمج من شراب ...

ضحى : سيدى « بدر » ...

بدر : إيه .. هيه ... من ؟

ضحى : ألسـت عطشان ؟

بدر : عطشان ؟ ... حقا أنا عطشان ... إى وربى !

ضحى : جئتـك بالشراب ...

بدر : (وقد فتح عينيه ، وتمصص شفـتيه) الشراب ...

الشراب ...

ضحى : شراب الورد ...

تقبل عليه ، وتقرّب القـدح منه ...

بدر : (مبتسما) حسن ... حسن ...

يتناول الفدج ، ويتشف منه

شراب سائع . . . كثيرا ما كنا نشرب مثله في
الشام . . .

ضحى : أيهما أطيب ؟ شراب الشام أم شراب الأندلس ؟
بدر : (وقد تناول جرعة وافية ، ومد يده إلى ضحى ،
يلطفها) الشراب الذي تحمليه أنت حيث
تكونين . . . ما اسمك يا حسناء ؟

ضحى : جاريتك « ضحى » . . .
بدر : (ينتبه ويتذكر) ألسنت أنت التي قد فتني بالوسادة ؟
ضحى : أى وسادة ؟ لا ورأسك ياسيدى . . . فليقدفتنى
الله بحُمة من حُمة جهنم إن كنت قد فعلت . . .
بدر : (يهز رأسه مصدقا) لقد وهمت . . . لا عليك . . .
ضحى : (مائلة عليه) أخبرنى ياسيدى « بدر » . . .

بدر : بماذا أخبرك يا « ضحى » ؟
ضحى : أيجب الأمير شراب الورد ؟
بدر : الأمير . . .

ضحى : أميرنا « عبد الرحمن الأموى » ضيف القصر . . .
« سحر » و « فجر » تدانيان من
« بدر » دون أن يراها

بدر : وفيم سؤالك ؟
ضحى : لأقدم له الشراب الذي تطيب به نفسه .
« سحر » و « جر » تيدوان « بدر »
تختبر : إني أحسن صنع شراب القرنفل ...
جر : وأنا لا يباريني أحد في صنع شراب البنفسج .
بدر : ورد وقرنفل وبنفسج ... لكأني في بستان يزدهر
بالرياحين .

الجواري يتضحكن
« بدر » يواصل قوله
ما أجل الحياة في صحبتكن !

يفاضرن فيستبين له ويتضحكن ...
« عبد الرحمن » يهل على الردهة فيلمح
الجواري مع « بدر » فيبذل مكانا قصيا
يرقب فيه ويسمع
ضحى : (متبسطة) لم تجبني يا « بدر » ... أيوى الأمير
شراب الورد ؟

بدر : هو شرابه المفضل ... ولا سيما حين تقدمه له
حسنا . مثلك .
سحر : أراه يشغف بالنساء ؟
بدر : (متشدقا بالكلمات) ما أكثر مغامراته في بحار

الحب والهيام

- بحر : هلا رويت لنا طرفاً من هذه المغامرات ؟
 سحر : أمتعنا بحديثك يا سيدي « بدر »
- بدر : (والجواري حوله ، وهو يكثر الإشارة والإيماء والتلويح) استمعن لي . . . واحذرن أن تفشين ما أفضى إليكن به . . . لا تتحدثن بشيء منه لأحد . . .
- الجواري : أبدا . . . أبدا . . .
- بدر : هل علمتن كيف أفلت الأمير « عبد الرحمن » من برائن « ابن حبيب » أمير « إفريقية » ؟
- الجواري : ومن أين لنا أن نعلم ؟
- بدر : كانت وراء الأمر امرأة . . هي السر كل السر . . .
- امرأة ورب السماء !
- الجواري : امرأة . . .
- بدر : امرأة افتدته بنفسها . . . شغفها جبا ، فكان افتداؤها إياد .
- عبد الرحمن : (وقد برز لبدر) يا لها من قصة شائقة !
- « بحر » و « سحر » تلوكان بالقرار .
- بدر : « متلعثما » الأمير ؟ الأمير ؟
- « ضحى » في مكانها مأكنة ، موصولة النظر « ببدر »

عبد الرحمن : (لضحى) فيم بقاؤك ؟
ضحى : ربما أمرتني أيها الأمير بأن أحضرك قدحا من شراب الورد .

عبد الرحمن : لا حاجة لى به . . .

« ضحى » تصرف خافضة الرأس . :
« عبد الرحمن » مضطرب الملامح فى جبهة ورواح ، بقول « لبدر »

ما أشقانى بك أيها الرجل ؟

بدر : (متملقا فى مسكنة) : أمن جراء بادرة هينة تعد

نفسك شقيبانى يا مولاي ؟

عبد الرحمن : هل بلغت بك القبة أن تحدث عني جوارى القصر حديث السوء ؟

بدر : أى حديث سوء يا مولاي ؟ لقد أطنبت فى امتداحك وإطراء صفاتك أيها الأمير . . .

عبد الرحمن : صه يا لسان الشر . . .

بدر : خرسى يا مولاي .

عبد الرحمن : تجيز لنفسك اللهو والعبث : نحن فى جد وجهاد ؟

بدر : أقسمت برب البيت ما عبثت ولا لهوت . . . فقد

جئتُ هنا أنشد قدح ماء أطفئ به ظمئى . . . قدح

ماء وورأسك الغالى .

«عبد الرحمن» يخطو في الردة

عبد الرحمن : إني لأسأل نفسي : ما انتفاعى بك ؟ أنت على النقيض
منى « فلماذا أستبقيك معى ؟

بدر : لا عجب فى أن تصطحبنى وإن كنت نقيضك

المرء لا يستغنى عن نقيض له يأنس به

عبد الرحمن : بئس النقيض أنت !

يأتى قوله فى الردة

يقف تجا «بدر» ويصيح به فى حدة

هل من جديد فى شأن زعيم اليمين « أبى الصباح ، ؟

بدر : (فى ذلة واستكانة) لا جديد يامولاي . . . شد ما

تحسست أخباره ، فلم أظفر بطائل . . . لأنه رجل

لا يوثق به . . .

عبد الرحمن : أيتخذنا « أبو الصباح » ؟ إذن لقد ضاع كل شيء .

بدر : (متبسما متظرفا) إلا ميراثك من جدك

« هشام هو لك ، لا ينازعك فيه منازع . . .

عبد الرحمن : أيكون همى كله ميراث جدى ؟ أليس عندى من

المآرب إلا مئة الحياة وترف العيش ؟ البلاد على

شفا جرُف ، والفرنجية يتحلب ريقهم لها ، فهم
يتربصون بها الدوائر ...

بدر : (متضاحكا متلفعا) يبدو أن جوہ الاندلس «
قد أدكى شهوتك إلى ما هو جل شأننا من ترف
العيش ومتعه الحياة !

عبد الرحمن : كما أدكى شهوتك أنت إلى ألوان الطعام والشراب
« بدر » يضعك متصفا بالإحباب بتكته
« عبد الرحمن » ثملقا له
« حنية صمت »
بدر :

هنالك سر لم أعرف له كما بعد .. الناس أجمعون
أفروا السلام ، وأظهروا النفرة من العدا ، ولكني
أحس ربح الحرب تملأ الخياشيم .

عبد الرحمن : (متفريسا في وجه بدر) ولماذا يحب الناس السلام ،
وينفرون من الحرب ؟

بدر : الجواب لا يخفى عليك يا مولاي ، فالحرب مجلبة
الفاقة والبؤس والخراب ...

عبد الرحمن : وكيف السبيل إلى السلام ، وفي الناس من يريدون
الاستئثار بالقوة ابتغاء المغنم والجاء ، فهم من أجل
ذلك يتذرعون السلطان ، ولا يبالون بأن يضربوا
بمصلح البلاد عرض الحائط .

بدر : فلنقض على هذا التنازع ، حتى نباغ ما نصبو إليه
: من سلام . . .

عبد الرحمن : عليك إذن أن تخضع من يريد الاستشارة لنفسه ، لكي
يتوافر لك السلام المنشود .

بدر : (بعد تفكير) وإذا اجتمعت كلمة الزعماء فيما بينهم
على أن ينبذوا تنازع السلطان ؟

عبد الرحمن : إذا اجتمعت . . . ولكن ماذا تصنع إذا لم تجتمع
كلمة الزعماء ؟ إذا أمعنوا في التنازع لا ينتهون ؟

يتابع قوله بعد الهبة

إذا طمع كل منهم أن يمد الأمر لنفسه ، ويجمع
ما استطاع في قبضته ، لا يعنيه إلا أن يكون صاحب
الحول والصول ؟ إذا ظلت روح الاستشارة بالسلطان
مستشرية بين الجوانح لا يهدأ لها أوار ؟

بدر : (بإدرا) فلنزع من أيدي الزعماء ما يتنازعون
من أجله ، حتى لا يكون لهم من الأمر شيء . . .

عبد الرحمن : كيف نستخلص ، الأندلس ، من أيدي هؤلاء
الزعماء الذين اتخذتهم شيعتهم أصناما معبودة ،
فتمزقت بهم الوحدة ، وتفرقت الكلمة ، وأصبح
الأمر فوضى ؟ أولئك هم الفرنجة منا على مراقبة ،

يرصدون الفرصة حتى تُمكن . ولكأنى أرى
 الغد وقد خيمت معالمه السود ، والويل للمغلوب !
 بنبر : لم لا تسير سيرة جدك «عبد الملك» ، إذ وجد دولة
 الإسلام فى المشرق ، فقفى على سلطان الإقطاع ،
 وفل شوكة الأمراء .

عبد الرحمن : ليس أحب إلى من أن أكون على غرار جدى
 «عبد الملك» ... ولكن الرغبة وحدها لا تنبل
 المأرب الجسيم ، ولا تحقق الأمر العظيم !

صوت : (من خارج) يا عالم الغيب ... يا مسير الأقدار ...

«عبد الرحمن» و «بدر» يبادلان النظر

«عبد الرحمن» يدهش

«بدر» يضحك

بنبر : لقد التأم الشمل ... ذلك هو «منارة» يهبط علينا
 من حيث لا ندرى .

عبد الرحمن : لم يكن يعوزنا إلا أن يلحق بنا ذلك الرجل
 المحبول ... اخرج إليه فأسله إلى الخدم ليبتشوا
 له المأوى ، ولا تأذن له فى القدوم على الآن ...

«بنبر» ينصرف

«عبد الرحمن» يتأجج نفسه ...

أمراء الإقطاع ... أمراء الإقطاع ... أصنام

اتخذت هَازُ مَر من طلاب المغانم وصغار النفوس...
لقد حطم الإسلام أصنام الكفر، وقضى على وثنية
الدين، ولكن كيف السبيل إلى تحطيم أصنام
الإقطاع؟ كيف السبيل إلى القضاء على وثنية
الزراعة والإمارة؟

ينتحي ناحية، وهو مستغرق في التفكير
«ضحى» يبدو مترددة، على نفوف
وفي يدها قدح من شراب الورد...

ضحى : مولاي، إخالك ظلمت... واليوم صائف...
عبد الرحمن : (ملتفتا إليها في رفق) أحسنت صنعاً...

يقتاول القدح وترشف منه...
«ضحى» مفرعة البصر إليه...
«بدر» هبل راكفا...

بدر : لم يحضر «منارة» وحده... حضرت معه الجارية
«رواح»...

«ضحى» تضطرب...

عبد الرحمن : أف من هذه الملاحقة... لكأني طامة شبيهة
قنهشها الجياع!

يرد القدح إلى «ضحى»، فتصرف به
بهومة... «عبد الرحمن» يذرع الرذعة
في ذعوب وجيئة، وهو يردد...

« الفهرى ، ... » « أبو الصباح » ...

بدر : (متدانيا) « ابن عثمان » « ابن خالد » يبدلان في

نصرتك غاية الوسع ...

عبد الرحمن : كل لنفسه يعمل ، فما يبغيان إلا أن تتحقق لهما

أحلامهما في الميمنة على مرافق البلاد ، حين يخلو

لهما الجو بمن يتافسهما من القواد والحكام .

بدر : (خافت الصوت) و « أميرة القصور » أخت

« ابن عثمان » ؟

عبد الرحمن : ما لها ؟

بدر : بعثت تسأل عنك ...

عبد الرحمن : ماذا تريد مني ؟ إنها تلاحقني ، وأنا لا أبغض شيئا

كما أبغض الملاحقة ، لقد قضيت أياي فرارا من

يلاحقوتي والآن تقبل النساء على ...

بدر : إن « أميرة القصور » لاتبى عن إرسال الهدايا

والإطاف إليك ، وهى تتألف الزعماء بالأموال ،

حتى يكونوا لك تبعاً ...

عبد الرحمن : وهل هذا كله إلا لون من الملاحقة التى أهقتها كل المقت ؟

بدر : لقد أحبتك حبا يحل عن الوصف ، وغاية مناها أن

يتم بينكما الزواج الذى وعدتها إياه ... فلتفعل ،

ولتجعل ومن أجل مرامك الاسمى كل شيء يهون !
عبد الرحمن : يالك من رجل ساقط النفس خسيس... أحسببستنى
من أولئك الفرالدى تحقرهم مآربهم على اصطناع كل
وسيلة وحيلة بغية الوصول ؟

بدر : لو كنت مكانك لما أيدت شيئا يبلغ في الغرض المنشود .
عبد الرحمن : اغرُب عن وجهى أيها الوُصولى الوضع ...
بدر : هدىء من روعك أيها السيد المجل ... سيغرب

عن وجهك الوصولى الوضع !

يتجه ناحية الباب
يلمح شيخ قادم فيقول
« أميرة القصور » في الطريق إليك ...

« أمير القصور » تقدم ، عليها لثام
شفاف ، وقد غيل الترف فيها ترنديه من
ثوب ، وما تتجلى به من زينة
اللاثام يراخى عن وجهها شيئا
« بدر » يترى خلف ستارة الباب

أميرة القصور : (متشوقة إلى « عبد الرحمن » على ترفع ا ...
« عبد الرحمن » ...

عبد الرحمن : (مقبلا عليها) أميرتى ... أميرة القصور ...
أيديها تتشابك
أميرة القصور : كنت أبحث عنك ...

عبد الرحمن : وأنا كذلك ... ألححت في السؤال والاستخبار ...

« تدبر » يطل من خلف الستارة ، وقد
مز رأسه وضرب كفا بسكف ، ثم بهم
بالانصراف

بدر : (يهمهم وهو منصرف) الآن ينصرف الوصول
الوضيع في أمان الله !

أميرة القصور : ماذا ترى في العطر الذي تعطرت به لك اليوم !
عبد الرحمن : إن عطر الورد يملأ أنفي ... عطرك !

أميرة القصور : لا . لقد استبدلت به اليوم عطر الياسمين .
عبد الرحمن : (متداركا) حقا ؟

أميرة القصور : وهناك قارورة منه أهديتها إليك .

عبد الرحمن : (متناولا القارورة) العطور عندي كلها سراء مثل
النساء ... لا يختلفن إلا في الأسماء والوجود .

أميرة القصور : وماذا ترى في عطري ، وفي وجهي ؟

عبد الرحمن : أرق العطور ... أوسم الوجوه ... أميرة القصور ...
لا ... بل حسناء الأندلس .

أميرة القصور : عندي لك نبأ يسرك ...

عبد الرحمن : إذن فعجلى به ...

أميرة القصور : (تنوسمه في إعجاب ، ثم تقول له في دلال)
فلتحزر ...

- عبد الرحمن : (مفكرا) رسالة من « أبي الصباح » . . .
- أميرة القصور : دع « أبا الصباح » الآن . . .
- عبد الرحمن : ماذا يكون إذن ؟
- أميرة القصور : قلت لك احزر . . .
- عبد الرحمن : لا يزيدني تطلعا .
- أميرة القصور : ليتني أستطيع إثارة تطلعك !
- عبد الرحمن : ولم ؟
- أميرة القصور : لأخرجك من صمتك وسهوميك !
- عبد الرحمن : أتجهلين ما يدعوني إلى الصمت والسهوم ؟ إلى من
أمرى في حيرة وقلق ، فأنا ألتبس لنفسي القرار .
- أميرة القصور : لا أجهل من حقيقة نفسك شيئا . . . سارد إلى
نفسك طمأنيتها . . . سأبلغها مناهي !
- عطرق حذبة ، ثم تواصل القول . . .
- إلى أمهد للأخير « عبد الرحمن » ، ما هو جديرك
من حياة . . .
- عبد الرحمن : (في سخرية) حياة الدعة والرفاهية ، يسرهما لي
ماورثته عن جدي « هشام » !
- أميرة القصور : بل حياة العزة والسلطان . . . حياة التأمر على
رحاب الأندلس جميعا !

عبد الرحمن : ومن أين لي ملك والأندلس ، والحال كما تعلمين ؟
أميرة القصور : ثق بأن الغد لك ... انا نحن معا ... ليكون
يبدنا قياد البلاد .

تسكت لحظة ، ثم تواصل القول ...
هأنذى أجاهرك بلنبأ الذي جئتكم من أجله . .
لقد أصبح جيش « الفهرى » على حال من
الموهن والتمسك لا يستطيع معه غلابا
ولامقاومة ...

عبد الرحمن : (مرهفا سمعه) كيف يا أميرة ؟
أميرة القصور . لقد أجهزت عليه دعايتنا المتوالية : بعد أن أوهنته
الثورة ... متى جمعنا الجموع ، وتشمرنا للحرب ،
فلا ريب في أن يكتب لنا عليه النصر !

عبد الرحمن : يقولون إن الأمة قد أبغضت الحرب ، وسمت
الثورات والفتن ، وقد ناشدني أقطاب القوم
أن أجنح إلى السلم ، وألا أثير الزعازع في
البلاد ، وإني لهم مستجيب ... لقد أحسنوا
وفادتي ، وأنزلوني منهم أكرم منزل .

أميرة القصور : وماذا جنى الناس من حروب لأثر حروب ؟
لقد خاضوا غمارها ، وشقوا بها ، والزعماء

وحدهم هم الذين غنموا خيرها ... لقد ذهبت
هدرا دماء الشهداء في مختلف المعارك ، وظلت
البلاد على حالها غفيرة العري ، مشيشة القوى ،
لاحام ولا راع ... للناس عذرم فيما يبدون
من إغاض الحروب ... إنهم في ذلك على حق
عبد الرحمن : ربما كان هذا ما يبدو من الناس ولكن الناس
في حقيقة الأمر لا رأى لهم إلا ما يرى الزعيم
القوى الحري بالزعامة ... فلينهض هذا الزعيم
إن كان له أن ينهض . وينظر بعد ذلك كيف
تكون عنده مشيئة الناس ...

أميرة القصور : وماذا يحجم بك عن أن تكون هذا الزعيم ،
وأنت لذلك أهل ؟

عبد الرحمن : لكى أكونه ، لا بد أن أمشى على تل من جماجم
القتلى ، وما جثت هنا لا كون سفاك الدماء .

أميرة القصور : فلتنعم إذن بميراثك من جددك وهشام ، ...
نواصل القول من لطفة :

ولتنعم بي أنا أيضا ... !

عبد الرحمن : وهل ينقطع سفك الدماء إذا أنا أمسكت وعففت ؟
كلا وايم الله ... ما زالت الدماء تراق منذ

الأزل . وستظل تراق مابقى البشر . . . تلك هي

العقدة التي تستعصي على الحل . . .

أميرة القصور : إذن فلتبعثها حربا شديدا . . . وإني بجانبك

أخوض معك غمرات القتال .

عبد الرحمن : طريف كل الطرافة أن أسمع حديث الحرب

والدماء من أميرة الرقة واللفظ . . . إني لأعجب

لهذا الفم الوردى العذب كيف تنساب من بين

شفثيه كلمات الشراسة والعنف !

أميرة القصور : لتجدنني بجانبك نمر ضارية ، تطيح الروس ،

وتفري الأجساد . . من أجل نصرتك ،

وإعلاء كلمتك !

عبد الرحمن : (أخذها بيدها) إن لضراوة النرة جمالا أي

جمال . . . لأنها لتزيد نألق الفتنة في عينيك ،

وتذكي لهيب الحسن في وجنتيك ، وتوجج نار

الحيوية في روحك الجيوش . تالله إن هذا هو الجمال

السوري ، وما عداه تميع ومذلة وخنوع . . .

أميرة القصور : (مقبلة عليه) أنا كما تشاؤني يا أميري أكون . . .

سواء على الخنوع والطموح ، سواء على المذلة

والاستعلاء ، سواء على الاستكانة والانبعاث . . .

مادمت أوافق هواك ، وأبلغ رضاك ... قل
لى كيف تريدنى أن أكون ؟ ...

تأريه حتى تكاد تلتسه

« عبد الرحمن » يتباعد فى لطف ..

عبد الرحمن : لاتلبنى ... فلتبقى كما أنت النمرة الجاحدة ...

يستدرك موقفه منها ، قيدانيتها على تحفظ

ملحوظ ، ويواصل قوله

فلتبقى كما أنت أميرة القصور ...

« بدر » يقدم « ركضاقول » عبد الرحمن :

ماذا فى الأمر يا « بدر » ؟ ...

بدر : رسول « أبى الصباح » فى القصر .

عبد الرحمن : ما اسمه ؟

بدر : « أبو غالب تمام »

عبد الرحمن : (متفائلا) « غالب » ... نحن الغالبون ...

« أبو تمام » ... تم لنا الأمر ... إذن له فى

الدخول على الفور ...

« بدر » يحصر

« عبد الرحمن » يلتفت الى « أميرة

القصور »

أميرة القصور : سألبث معك

عبد الرحمن : أوثر أن تمضي ، لتعدى لي شكك السلاح ...

أميرة القصور : (متسائلة) شكك السلاح ! أهناك حرب !

عبد الرحمن : نحن في حرب دائمة .. أجل في حرب دائمة ...

يدفع بأميرة القصور في رفق ...

تصرف

« عبد الرحمن » يقول منفردا ...

... وهل بعد هذه حرب ؟

صمت قصير

يستأنف الكلام

كل ما ينبغي أن نوجه الحرب وجهة فيها للبلاد خير

« ابن عثمان » و « ابن خالد » و « بدر »

يقبلون « ومهم » أبو غالب تمام »

رسول « أبي الصباح »

الرسول يحيى « عبد الرحمن » في إجلاله

« عبد الرحمن » يرد التحية

أبو غالب : أخوك « أبو الصباح » يقرئك السلام ، وقد حملني

إليك شروطه في التعاون معك .

عبد الرحمن : ليس بين الأخوين اشتراط ... هات ما عندك .

أبو غالب : يطلب إليك « أبو الصباح » أن يكون شريكك في

حكم البلاد ، حين يستتب لكما الأمر .

« ابن عثمان » و « ابن خالد » يتناظران

عبد الرحمن : (لابن عثمان وابن خالد) حاكمان خير من عشرة
حكام ، يتناهبون مغانم البلاد ، ويتركونها هدفاً
لمطامع الدخلاء

ابن عثمان : ولكن . . .

عبد الرحمن : (مقاطعاً) فما ظنك والحاكمان أخوان يتعاونان
على البر والتقوى ؟

ابن خالد : لقد فوضنا الأمر إليك ، فاقض فيه ما أنت قاض .

عبد الرحمن : (للرسول) وماذا بعد ؟

أبو غالب : أن يكون أخوك وأالصباح ، هو المقدم في قيادة
الجيش ورياسة مجلس المشورة .

« بدر » يبدى الدهش

ابن عثمان : (صائحاً) إلا هذا . . .

ابن خالد : أيتقدم الفرع على الأصل ؟

عبد الرحمن : ولم لا ؟ مادام الفرع والأصل من أرومة واحدة :

أرومة العروبة والإسلام . وثمة أمر آخر لا يجوز

لنا أن نغفله ، ذلك أن أخى وأبأ الصباح ، يكبرنى

بأعوام . وللكبير إمامة وفضل مقام . . .

أبو غالب : (فى جراه) أسلاب الحرب ومغانم القتال يقضى

فيها وأبو الصباح ، وحده .

عبد الرحمن : إني تاركها له ، يأخذ منها ما يشاء ويدع ما يشاء .
أهذا كل ما حملت إلينا أيها الرسول الأمين !

« بدر » يدخل في مسكاته فريضة . . .

« عبد الرحمن » يحمله بنقرة حادة . .

أبو غالب : بقيت تحيات وأمانى يرجيها إليك أخوك أبو الصباح ،
عبد الرحمن : حياته الله وبيته . . .

يلفت إلى « ابن عثمان » و « ابن خالد »

عليكما أن تحسنا وفادة الرسول الأمين كل الإحسان

« عبد الرحمن » يخلو إلى الرسول ،

فيما فيه مريتا كنهه ، قائلا له

أكرم برسول أخى « أبي الصباح » !

منصرف الرسول مع « ابن عثمان »

و « ابن خالد »

« عبد الرحمن » يمتلئ من التكأتمها الكا

« بدر » يتقرب منه

بدر : هل يأذن لي مولاي في الكلام !

عبد الرحمن : أعلم ما تريد أن تقول . . . تسألني كيف أذعنت

لشروط « أبي الصباح » !

بدر : بل كيف صبرت على استماع الهراء الذي كان يمسجه

من فقه ذلك الرسول المأفون !

عبد الرحمن : ألم يبلغك ما قاله جدى « معاوية » حين سأله كيف
تتال الخطوظ وتذكر الأوطار ؟

بلدر : ما كان أحكم ما يقول « معاوية » ...

عبد الرحمن : (وقد استوفى) لا تتال الخطوظ ولا تذكر الأوطار
إلا بالصبر على المكروه .

بلدر : إلا هذا المكروه يامولاي ...

عبد الرحمن : بل هذا وما فوق هذا ... لا خيار لنا فى أن نصبر
على « أبى الصباح » ورسول « أبى الصباح » !

بلدر : الله معك يامولاي ...

عبد الرحمن : الله مع الصابرين ... الله مع العاملين ... إن الله
لا ينصر الحقى والحاملين ، بمن لا يعملون ولا يصبرون

يوصل قوله ما نحا

لقد نزلت هذه الجزيرة طريدا ، ولن أخرج منها

إلا شريدا !

لفصل الثالث

أواخر العام الثامن والثلاثين بعد المائة
 من الهجرة
 قصر الإمارة في « قرطبة »
 يوم - وفي القصر يقضى إلى مستشرق
 ينظر الطريق
 « منارة » جالس
 « رواح » في لبوس الفتيان ، متدانية
 من المستشرق ، شاخصة البصر إلى
 الطريق في تدوف

منارة	: (برّدت في همهمة) بأعالم الغيب ... يامسّير الأقدار !
رواح	: (ملتفتة إلى « منارة » مقبلة عليه) : لم يعد حتى الآن أميرنا « عبد الرحمن » ، .. ترى لأي سبب أبطأ ؟
منارة	: ثم ماذا ياه رواح ، ؟ لا ترعوين عما أنت فيه من تطلع إلى الأمير ...
رواح	: لقد تكهننت له أنت بأنه عُرِضة لحدث جديد .
منارة	: أجل ... حدث يتمثل في زهرة تُهدى إليه .
رواح	: وماذا في أن تهدى إليه زهرة ؟

- منارة : ربما كانت وراها أفعلى تتنفس ...
- رواح : ولم لا يكون منها أريج يشبع البهجة ؟
- منارة : ذلك ما عقب به الأمير « عبد الرحمن » على قوله ...
- شده ما هو واثق بنفسه !
- رواح : ألا تجده أهلا لهذا الوثوق ؟
- منارة : لقد حرت في أمر هذا الرجل ، تارة يتغير من أنفه الأشياء ، فينكل عن عزمه ، ويتردد في شأنه ...
- رواح : وطورا لا يتهب أمرا ، ولا يبالي شيئا ... أرايت كيف تم له النصر على « الفهوى » ، حتى دخل « قرطبة » ، دخول الفاتح المظفر ، وبات أمير « الأندلس » ، غير منازع ؟
- منارة : هذا أول الشوط .
- « بدر » يقدم
- بدر : (لمنارة) أحسبك ما زلت هائما في سبحاتك .. منذ تم لنا فتح « قرطبة » ، وأنت لا تنفك تكهن ... إنك لنظرننا كل يوم وإبلا من تكهناتك التي لا تنتهى ...
- رواح : ولم تضيق بهذه التكهنات يا سيدي « بدر » ؟
- بدر : إني لأؤثر أن أجهل مصيرى على أن أروّع كل ساعة بطرف منه . . . لقد لطف الله بعباده حين أغلق في وجوههم أبواب الغيوب ، وحجب عنهم ما يلاقونه في

الغد من مكتوب المقادير .

يلتفت الى « رواج » ، مستأغا قوله ،
وهو يرت خدما

ألستَ على رأي في هذا يا غلامى الطريف ؟

رواح : أما نهيتك أن تدعوني بالغلام ؟

بدر : وكيف أدعوك ، وأنا أجذك منذ قدومك « قرطبة » .

تتخذين لبوس الغلمان ، وتحمين حياة الفتيان ؟

منارة : بل تحيا حياة أهل الضرب والطعان ، من الأبطال

الشجعان ... ألميته إليك ما كان لها من بطولية في يوم

« المسارة » ... يوم الفتح المبين !

بدر : الحق ياسيدى المنجم ...

رواح : (متحمسة) لقد تلقيت بصدرى سنان الرمح ، وكادت

الطعنة تكون القاضية ...

بدر : واحر قلبي عليك أيها البطل الصنديد !

يقرب منها مفرعا نظره الى صدرها . :

هلا أريتني أثر الجراح في صدرك الطمين ؟

رواح : (تدفعه) اغرب عن وجهى ...

بدر : كيف ؟ ألسنا رفيقى حرب وضرب ! ؟

طبل يرق في الطريق

الثلاثة يرهقون السامع

« بدر » يقول

شراذم من جنود « أبي الصباح » تحوب الأرجاء على

مألوف العادة ، لتعلن ما لصاحبها من سطوة وجبروت .

الثلاثة ينتحون ناحية المستعرق

« بدر » يتأفف قوله

إني أمقت هذا التظاهر المصنوع !

منارة : جدير « أبي الصباح » أن يزهو ، وخليق بمجده أن يعتزوا ،

ألم يكن للعون الذي بذلوه للأمير « عبد الرحمن » أثر

عظيم فيما تحقق من نصر ؟ ألم يبلوا أحسن البلاء في

يوم الفتح ؟

بدر : لم يناصرنا « أبو الصباح » إلا الحاجة في نفسه قضائها . . .

ما كانت نيته أن يعمل على توحيد كلمة البلاد ، وجمع

شملها الشقيت ، وإنما كان همه أن يشبع أطماعه ، ويملا

بالغنائم خزائنه ، ولو لم يكفّه أميرنا عن غيّه ، لأعمل

في البلاد يد السلب والانتهاك ، وعمرى كل شيء فيها

بما عليه ، حتى النساء في الخدور !

الثلاثة يخرجون الى المستعرق

« أميرة النصور » تقدم ، ومها تابع ،

وحا يلتفتان في عاذرة ، ليستوثقا من

خلو البهو

أميرة القصور : هل فرغتم من تدير كل شيء ؟

التابع : تم كل شيء على مايرام يا أميرة القصور ...

لقد اخترنا الرجل الذي ينهض بالمهم على خير

وجهه ...

أميرة القصور : إن الأمير عبد الرحمن ، ثاقب النظر ...

التابع : كل ما يعيننا أن نتق بمؤازرتك لنا في هذا

الامر ...

أميرة القصور : (ساهمة) ليسكونن حدثا عظيما تتجاوب أصداؤه

في بقاع الأندلس .

ضحى تبدو حاملة بعض ثياب ...

أميرة القصور : تميل على التابع حاملة

انصرف أنت ...

التابع ينحن عينا ، ثم يترك البهو ...

أميرة القصور : تقول « ضحى » ..

ماذا تحملين يا ضحى ؟

ضحى : ثيابا للأمير عبد الرحمن .

أميرة القصور : إني لأسأل نفسي : هل صحبتني إلى قرطبة ،

لتكوني وصيفة لي ، أو وصيفة للأمير ؟

ضحى : إنى لم أقصر فى خدمتك يا سيدتى الأميرة ،
ولكن طلب منى أن أودى بعض مايجب لرب
القصر ، أفأ كان لى أن أفعل ؟

أميرة القصور : القصر يزخر بالخدم والاتباع ... فلماذا تخشين
نفسك بمثل هذا العمل ؟

ضحى : لقد تلقيت أمرا بأن أقوم به ... فهل يسوغ لى
أن أخالفه ؟

أميرة القصور : من أمرك بذلك يا د ضحى ، ؟

ضحى : (فى عزلة واعتداد) الأمير نفسه يا أميرة ...
أميرة القصور : (فى سخرية وامتهان) وماذا يحدو الأمير نفسه
على أن يأمر كـ يا ترى ؟

ضحى : لا بد أنه يستريح لخدمتى لإياه .

أميرة القصور : (فى مصابرة ومطاولة) ومن أعليك أنه لا بد يستريح
لخدمتك يا جارية ؟

ضحى : لقد أطرائى ، وامتمدح خدمتى ، وأجزل
مكافأتى ...

أميرة القصور : كثيرا ما أطرى الأمير من يخدمه من الجوارى
والعبيد ، وطالما أسدى إليهم العطايا والمنح ...
لست وحدك المخصوصة بمثل هذا الصنيع ...

ضحى : (ضيقة النفس يا تسمع) لقد خصصنى بمزيد من رعاية وعطف .

أميرة القصور : أولى بك أن تكفى عن تعقب الرجال يا حارية...
ضحى : ليست الجوارى وحدهن اللواتى يتمقن الرجال أيتها الأميرة .

أميرة القصور : أمسكى لسانك يا طويلة اللسان !

ترفع يدها لتلطم بها وجه « ضحى »
« بدر » و « منارة » و « رواح »
يدخلون من المستشف فى ثؤدة . .
« أميرة القصور » تهاك

بدر : عفوا سيدتى « أميرة القصور »... لم تكن نعلم أنك حللت البهو...
أميرة القصور : تقدموا... تقدموا...

تعالج أن تظهر بالمظهر المألوف ، وتتناهب قولها

أوه... هذا « منارة »... ماذا تحمل اليوم من تكهينات جديدة ؟

منارة : خير للأميرة ألا تسألنى !

أميرة القصور : أعندك ما تشفق علينا أن تقضى به ؟

بدر : إن « لمنارة » لسانا يقطر شؤما ، وهو يأنى إلا

أن يشأنا معاً بما يروّعنا به من تكهّنات السوء ..
 أميرة القصور : (متلهية) لا عليك يا منارة... أنبئني بما عندك ..
 منارة : إنها الحرب يا أميرة ...

أميرة القصور : الحرب ... وأى جديد فى هذا النبأ ؟ إن الحرب
 لتكتنفنا من كل جانب .

منارة : لم أعنِ يا أميرتى حرب السيوف والرماح ،
 ولكنى عنيت حرباً تختلف عن تلك ... هي
 حرب القلوب ، ترمى بشُواط من نار .

أميرة القصور : (متبسطة ، هازئة) يا لها من حرب هزيلة !
 منارة : إنما هي فتنة أضرى من حرب الرجال ، وعيراك
 الأبطال !

أميرة القصور : لن يكون لها شأن عندى . . . فالقضاء عليها
 سهل ميسور .

منارة : أراك تستسهلين الصعب . وتستهنين بالخطر ...
 أنت واهمة يا أميرة .

أميرة القصور : (وقد استفزتها كلمته) واهمة ، ماذا تقصد ؟
 منارة : (متخاضعا) لا شئ ... لا شئ ...

بدر : ألم أقل لك ياسيدتى إن جميعته مملوءة بالشر ..
 ولا شئ غير الشر ...

يزج « منارة » قائلا له
 قال الله لا فالك... اخرج ، وتعلم أن تعقل
 لسانك عن تلك الثروة المردولة ...

« رواح » تهم بالانصراف خلف
 « منارة » و « بدر »

أميرة القصور : (لرواح) لماذا تعجلين بالخروج يا « رواح » ؟

توميء إليها أن تبقى فتدعن ...

« أميرة القصور » ثم التفاتت « رواح »

ثم تعاليف بها متفحمة ، ثم تتفاحك ..

رواح : هل أرادت الأميرة أن تستبقيني لتضحك مني !

أميرة القصور : وهل يضيرك أن تكوني مثار أنس وبهجة ؟

ألسنت من جوارى القصر ؟

رواح : إنى ربة سيف ، وصاحبة حرب ... لا أتاني

الامر والنهى إلا من قائدى وحده ...

ضحى : تعنين الأمير « عبد الرحمن » لاشك ... فلقد

شخصت إليه من « إفريقية » لتكونى فى خدمته ..

رواح : شخصت إليه لآكون من جنده ، أقاتل فى

صفه ...

أميرة القصور : ولم آثرت لنفسك هذا العنت والإرهاق ؟ ...

رواح : لآسهم فى تشييد صرح الدولة الجديد .

أميرة القصور : يبدو لي أن لك جَلَدًا على ممارسة الرجال !
رواح : مقضى على المرأة أن تُبْتَسَلَى بالرجال ، فغير لها
أن تنازلهم في ميدان البعالة والجهاد . . .
ضحى : (لرواح ، ضاحكة) وهل تحسبين يا صاحبتى
أن بطولة الحرب وسيلة مجدية لاصطياد القلوب ؟
رواح : (لضحى) مهما يكن من أمر فلا ريب في أنها
أكرم شأنًا وأعز مكانة من التذلل والتصاغر
والاسترحام . . .
ضحى : (متجترئة في المصارحة) لن تفاهى يا صاحبتى
في اصطياد قلبه بما تتخذين من وسيلة عرجاء ! ...
لقد أخفت أنوثتك في اجتذابه إليك ، فاقتفيت
أثره تتحلين بحلية الرجال ، لعله يوليكَ نظرة
شغف وإقبال .
أميرة القصور : (لضحى) صه يا جارية ... انصرفي من فورك ،
وارتقي أوامري إليك .
ضحى : تصرف مهتاجة . . .

رواح : يا لغيرتها الشعواء !
أميرة القصور : بل ياله من توقع ذميم ... أ كذلك أرى

جوارى الخدعة يتطلعن بنظرات الهيام إلى
ساداتهم الأمراء ؟

رواح : (بعد تفكير) شريعة الحب يا سيدى كشرية
الإيمان ، لا تعرف الفوارق من جاه و ثراء .

أميرة القصور : إن الحب يا جارية لا تزكو عاطفته في صدق
و إخلاص إلا بين اثنين متساويين في مراتب
الحياة ... يتماثلان في الذوق ، ويتقاربان في
الفهم ، ويتشابهان في السجايا والخصال ...

تدأنا منها ساخرة تقول :
شدها أنا مشفقة عليك يا « رواح » ...

تصرف متضاحكة
« رواح » متغيظة تعيها بنظرة شذراء
« مفارة » يبدو
« رواح » تسرع إليه « وتعمل على
خفضه ، وقد ملكها التحيب
قصة كل يوم ...

منارة :
رواح : (رفع رأسها عن صدره ، وتقول شريعة بالدمع)
أضرع إليك أن تعيننى ... أسدِ إلى « جمىلا ...

منارة : صبرا يا بنية صبرا ...
رواح : اصنعلى تيممة تمككنى من قلب الأمير ...

استوح لي الجن... علمني ماذا أقول؟ وماذا أفعل؟ حتى أظفر بحبه.

منارة : ليقني لم أطمك ، حين أصررتِ على أن تصخيني ، يوم عرفت أنني راحل إليه ...

رواح : لقد صحبتك إليه ، لكي أراه ، لكي أحيا بحواره .. أجبني بربك : كيف أعنع حتى يرواني كما أهواه !

تثبت بصدري

منارة : مبلغ علمي أنه قليل الشغف بالنساء .
رواح : (في سداجة) لذلك رأيته أتخذ له لبوس الرجال .

منارة : (مبتسما) وقد أكره فيك شيمة الرجولة ، فهو ينظر إليك على أنك رجل همام . فلتقنعني بهذا الآن .

« رواح » صامته تكفكف الدمع ...

« منارة » يتأفف

أ كذلك يبلغ حبك إياه ؟

همة وخفق أقدام

« رواح » تسمع وتقول

إنه هو ... تلك خطاه ، لا تخطأها الأذن !

« عبد الرحمن » يقبل ، وظلّه « سابق بن مالك » ومن وراءهما « ضحى » . . .

عبد الرحمن : (مواصلا حديثه مع « سابق بن مالك ») ولينح الزجل عطاءه موفورا غير منقوص يا « سابق » . . .

يلج « منارة » و « رواج »
ها أنت ذايا « منارة » . . . وأنت يا « رواج » . . .

« منارة » و « رواج » يعنيان انحاء النجاة
« عبد الرحمن » يواصل قوله « السابق » .
وهؤلاء الذين وقفوا الى في الطريق ، وشكروا
إلى ما يعانون من العسر والضنك وسوء الحال ،
عليكم أن تتعهدوهم بالآقوات ، وتسمفوا عليهم
الكسَى . . . أواع أنت ما أقول يا « سابق » ؟
سابق بن مالك : السمع والطاعة للأمير .

« عبد الرحمن » يوحى إليه أن يصرفه ،
فيحى ويحضى
« عبد الرحمن » يستريح على أركبة وثيرة ،
وما إن يمد قدميه حتى تعجل اليه « ضحى »
فتخلع ثيابه وتحملها في منصرفها عن اليهو .
« رواج » ترقب هذا الصنيع ضائقة به .

منارة : هل يأذن لي الأمير أن أقول ؟

عبد الرحمن : ما أحسبك إلا معاودا حديث الورد
والأزاهير

منارة : لا أردت أن أصارح الأمير بأنه يغلو في إحسان الظن
بالناس... فهو يمنح بشره وتحسنه لكل من يلقاه

في الطريق، من بأسط مظلة، أورا جي معونة...
عبد الرحمن : وهل تريدني أن أصدعني طلاب الحاجات .
ولا أنظر في ألوان الشكايات ؟

يتمش متخففا من بعض ما يتلقاه من الثياب .
« رواح » تهزول إليه ، وقد مدت
ذراعها بغنى أن تعينه . فيقول لها . .
ليس هذا من عمل الجنود يا « رواح » . . .

رواح : (في تذلل وتحجب) ألسنت خادمك أيها الأمير ؟
عبد الرحمن : بل أنت من جنودى شاكية السلاح
رواح : من أجلك صنعت ما صنعت . . . لعل أبلغ
رضاك ، ولعلك . . .

عبد الرحمن : (يقاطعها في ملاطفة) ولكنك تشفقين على
نفسك يا « رواح » . . . لست أدري لم تنجشمين
هذا العناء كله ؟

رواح : (وقد استشعرت بالخيبة) أخطأت فيما قصدت . . .
مغفرة أيها الأمير . . .

عبد الرحمن : (مترفقا بها) لا عليك ... لا عليك ...

تحمل ما خلع من ثيابه ، وتدير بها نحو
الباب ، مثالة الخطو
« ضحى » تصادقها وهي عائدة الى البهو
تحمل الحقيقتين للأمير ، فتراشقان بالنظرات
الحديد
« رواح » تقف عند الباب لترقب « ضحى »
وهي تقدم من الأمير وتضم الحقيقتين في قدومه
« ضحى » ترك البهو فتأتي « رواح »
عند الباب

ضحى : (وهي تحاول انتزاع ثياب « عبد الرحمن » من
يد « رواح ») لا شأن لك بثياب الأمير .

« أميرة القصور » قبل تشهيد ما يحدث
بين الفتاتين ، عتاء من « عبد الرحمن »

رواح : (متشبثة بالثياب) ان تأخذها ... دعها ...

ضحى : (محاولة انتزاع الثياب) قلت لك اتركيها لي ،

لا شأن لك بالأمير ولا بأشيائه ...

« رواح » تمدو بما تعمل

« ضحى » تلاحقها

منارة : (وهو يلتفت ناحية الفتاتين المتنازعتين) يأذن

لـ الأمير في الانصراف لإخماد هذه الفتنة ؟

عبد الرحمن : افعل ... وعنى أن توفق .

« منارة » يصرف مهرولا

أميرة القصور : (متدانية من « عبد الرحمن » ، ساخرة اللهجة .)

حقا ما أطرفه من مشهد !

عبد الرحمن : (في استخفاف) أى مشهد ؟

أميرة القصور : امرأتان تتنافسان في رجل !

عبد الرحمن : وأى عجب فيما ترين ؟ ربما تنافس أكثر من

امرأتين في رجل واحد . والويل كل الويل

لهذا الرجل الذى تنافس فيه النساء !

أميرة القصور : ألا يزهو الرجل ويعتز بكبريائه حين يلقي النساء

من حوله يتهاقن عليه ، ويمعن به ؟

عبد الرحمن : هذا شغل من كان على البال . . . تُرْنِخ أعطافه

المتع والملذات . . . أما من كان مشغولا ببعظائم

الأمور فإنه يرى في ذلك تعويقا له عن سعيه ،

وصرفا له عما يهمه . . . ما أثقل أن يحس المرء

بأن هناك من يلاحقه ، ويقتص أثره .

أميرة القصور : (وقد وقفت تتوسمه في حسرة) ماذا تقول

يا « عبد الرحمن » ؟ أسمى حي إياك وإخلاصى

لك ملاحقة واقتصاص أثر ؟ أنت قاس فيما

تكاشفنى به !

عبد الرحمن : إنك تغالين فيما تبدين من عاطفة ، وهل المغالاة في هذا إلا ملاحقة ؟

أميرة القصور : مسكين أنت يا د عبد الرحمن ، ... ساورتك الأيام وناوشتك الأحداث ، فأصبحت مبالغاً في حذرک ، تسمي الظن بمن يتبعك ، حتى إنك لتضيق ذرعاً بامرأة وهت قلبها لك ، فهي تنشدك أينما ذهبت ... إني أرثي لك يا د عبد الرحمن ، إذ تحيا بلا قلب !

عبد الرحمن : قلب ؟ أى قلب ؟

أميرة القصور : ليت شعري كيف تسعد بحبساتك في قابل عهدك ، حين يستتب لك الأمر ، وتنتفع عنك شواغل الحرب والضرب ، ويتاح لك أن تنجني ثمرة الطمأنينة والأمان ؟

تأمله في تلهف وتنتأف فولها ...

شَدَّ ما تغيرت نفسك يا د عبد الرحمن ، !

عبد الرحمن : الأحداث من حولي هي التي غيرت نفسي ، ولم يكن لي خيار .

أميرة القصور : أكان في مقدور الأحداث أن تنال من سلطان الحب ... حبك إياي ؟

عبد الرحمن : لست أدري...
أميرة القصور : (في نشوة) أئمة شىء أغلى من الحب يا عبد الرحمن،
عبد الرحمن : وهذه الجزيرة التي انتزعها الآباء بقوة السيف
والإيمان وقد أوشكت أن تذهب بها يد الغنياع؟
أماى أن أختار بين اثنين : إما أن أكون
طوع قلبي خالصا لحب امرأة ، وإما أن أنجود
بنفسي لحب هذه البلاد... تلك راية الإسلام
تزعزع في أيدي زعماء أطاعوا الشهوات ،
وانصاعوا في سبيل الفساد . فإن لم أستدرك
الراية بالساعد الأشد ، وأبقها خفاقة عالية في
يد العرب ، فهناك الداهية الدهياء !

أميرة القصور : ما بغيت أن أصرفك عن مهلك العظيم...
وأنت تعلم أنى بذلت مالى في سبيل نصرتك ،
ولم أبخل بجهدي يبلغ بك ما تصبو إليه .

عبد الرحمن : حسنا فعلت... وماذا تريد منى الآن . نظير
ما بذلت في سبيلي ؟

أميرة القصور : (متخاضعة) لا شىء... لا شىء... غير
الوفاء بما وعدتني إياه... الزواج...
عبد الرحمن : ألم يكن نصرك لى عقيدة يا أميرة القصور؟

أميرة القصور : (مطار عقله) كان عن عقيدة يا د عبد الرحمن...
عبد الرحمن : صاحب العقيدة لا يتقاضى ثمنًا لما يبدل ويعطى...
أخشى أن تكون قد نصرتنى على أمرى لغرض
غير العقيدة التى تظاهرت بها لى ... وأنى أجلك
عن المداينة والرياء .

أميرة القصور : هبى بذلت ما بذلت من أجل أن تكون لى ...
أفى هذا ما تلام عليه امرأة استجابت لدعوة
الحب ، ونداء القلب ؟ أى ضير فى أن أتمد
الزوج الكريم ؟

عبد الرحمن : (ملاطفا) لالوم ولا تريب ... يبدأنى أنكر
منك هذه المطالبة والاقتضاء ... حسبك أن
تعلمى أنى لا أحتمل القيد ، وإن كان من حريرا

صمت لحظات

يستأنف القول فى ترفق

وما يدريك ، لعلى أكون فى غدى غير ما أنا
اليوم .. دعنى الآن لشأى ، وأرجئ حديث
الزواج إلى حين ... ألم أرغب إليك فى أن
ترجعى إلى قصرى فى القرية ، عند أخيك د ابن
عثمان ، ، وأن ترقبى الأحداث حتى تنجلي ؟

أميرة القصور : أجذك مصرا على أن أرحل عنك .

عبد الرحمن : في رحيلك راحة لك ، ومصلحة لي .

أميرة القصور : أقطيعة تعلنها بيني وبينك يا عبد الرحمن ؟

عبد الرحمن : (يتضحك ملاطفا) قطيعة ؟ ولماذا تسميها

قطيعة ؟ إنما هي مهلة رَوِيَّة وتأمل ، وفترة ارتعاب

لما يتمخض عنه الغد .

أميرة القصور : (وهي منصرفة ، كأنما تضرع أمرا) حسنا ...

حسنا .. سأخلي لك الميدان تجول فيه

وتصول ...

تمك من السير وتقول له

ولكن ألا تخشى أن أظاھر عدوك عليك ؟

عبد الرحمن : أنت ؟ ولماذا تفعلين ؟

أميرة القصور : (وهي تنفرس فيه) أراك تحسن فهم كل شيء .

إلا قلوب النساء !

..... تتضحك : فائلة

إلى لقاء قريب .

..... تحضى محتاجة

« عبد الرحمن بحق يذرع البهر »

« بدر » يقدم

عبد الرحمن : أف ... أف

بدر : ماذا فى الأمر ، كفانا الله الشر ؟

عبد الرحمن : أولئك النسوة ... أولئك النسوة ...

بدر : عرفت ... عرفت ... ولكن علينا أن نرعى

جانب «أميرة القصور» .

عبد الرحمن : ليس على أن أرعى جانب أحد ... هذه امرأة

تريد أن تشترينى بمالها شراء العبد الرقيق !

بدر : و «درواح» المسكينة ... ما ذنبها فى أن تهمل

جانبها ؟

عبد الرحمن : «درواح» ؟ عجب أمر «درواح» ... أنى تجحد

أنوثتها كل الجحود ، وتستكره نفسها على شيء

ليس فى طبائع النساء .

بدر : تبغى مرضاتك ... تحسب أن ذلك سبيل إلى

اكتساب قلبك العصى .

عبد الرحمن : وهل هذا إلا ملاحقة ؟ وإن كانت بسلاح آخر ...

بدر : والثالثة أيها الأمير ؟

عبد الرحمن : تعنى «ضحى» ؟

بدر : إنها راضية بحظها منك ، لا تلاحقك بما تكره ...

عبد الرحمن : لست أدرى ماذا تبين لى «ضحى» ؟ لى لأحس

أنفاسها الحارة تلمح وجهى ...
 بدر : هلم إذن لترطب وجهك بالنسيم البليل فى حديقة
 القصر ... هل لتنعيم بساعة صفاء بين أزهار
 الطبيعة تسلى بها عما تلقى من أزهار وحواء ...
 النساء ...

عبد الرحمن : أزهار وحواء ، ليس فيها الشوك المسنون ...
 النساء ... دعنى من النساء ... إنى ماضى لاستبدل
 بشيأى ، هذا موعد انعقاد المجلس للنظر فى حاجات
 الناس ولعل القوم قد أقبلوا على فناء القصر .
 ينصرف كل منهما من باب
 « أميرة القصور » تبدو فى إحتراس ،
 وتوى يدها لشخص غير منظور ،
 فيلوح « أبو الصباح »
 أميرة القصور : إننا خالين هنا فى الهوى ، ولكننى أهاب أن
 يفجأنا أحد ...

أبو الصباح : وماذا فى أن نترامى معا ؟ ألم نتلاق غير مرة ؟
 أيستريب بى أحد ؟
 أميرة القصور : كلا يا دأبا الصباح ، ... فأنت فى منأى عن
 الشبهات ... ولكن ...

أبو الصباح : وماذا تحذرين إذن ؟
أميرة القصور : (متوجسة) قلبي يحدثني بأن مكروها يوشك
أن يقع ...

أبو الصباح : تفكرين في النكوص عما عاهدتني عليه ؟
أميرة القصور : لا يا « أبا الصباح » ، ... إن عزمي على الوفاء
يزداد من قوة ورسوخ ...

أبو الصباح : الحكمة تقصى بأن نفرغ من الأمر ... لقد اتخذتُ
الآهبة ، وأحسنّت التدبير ... سيكون لي
قياد الجبش كله غير منازع ، أما أنت فلك الهيمنة
على خزائن القصر . وإليك في شئوننا الأمر
والنهي ...

« أميرة القصور » تعبت حنينة ، وهي
تفكر في حيرة واضطراب
« أبو الصباح » يتألف قوله : ... :

ما برح قلبك خفاقا بحبه ا
أميرة القصور . (وقد تماكنت) أنا أحبه ؟ ... لا بل أكرهه ...
أما مقتته ا ...

أبو الصباح : كفى ما لقينا من خداعه ومكره ... إنه رجل
لا يعنيه إلا نفسه ... فهو يتخذني ويتخذك مطية

لإدراك ما ربه... طالما وعدني وسناني ، ولم ينجز
لي من وعوده وأمانيه إلا التوافه الهينات ...
وأنت ، ألم يعدك فلم تلقي منه إلا إخلاف الوعود ؟
أميرة القصور : حقا ... حقا ... إني معك فيما تقول !

همة وخفق أقدام
« أميرة القصور » تقول مرعوبة ..

القوم قادهون ...

« أبو الصباح » و « أميرة القصور »
يتراكان وهما يتساران
« بدر » يقدم مصطحبا لمة من أصحاب
الظالم والعفاة
ثلة من الجند تتوافد
« منارة » يبدو ، ومعها « رواح » في
لبوس الفتيان
« سابق بن مالك » يحضر
الجمع يأخذون جالسوم متفرقين في أنحاء
البحر
« عبد الرحمن » يهل عليهم فيجيئون
فبرد التحية
.....

الجمع : السلام على الأمير ...

عبد الرحمن : عليكم سلام الله ...

يتخذ مجلسه من تكريمة في صدر البحر

يدر : (مناديا أصحاب المظالم) ليتقدم كل ذى مظالمه
إلى الأمير . . .

المتظلمون يتراحمون ويتدافعون بالنناكب
بينهم شارب عملاق متوكء على عصاه ،
يغمر بقدميه يشكو الظلم ، فيرمعه القوم
حتى يكبو ، فيجعل إليه « بدر » ليعينه
فائلا في سبيحة :

لا يا أصحاب المظالم...تقدموا فرأدى ... واحدا
بعد واحد . . .

يعبر إلى شيخ أشيب على رأسه طرطور
دارت به عمامة ، وعلى جسمه بزة غير
عربية . فائلا :
تقدم أنت يا حامل الطرطور . . .

الرجل يتقدم
« بدر » يتأمله ، فائلا :

عمة ، عجبية ، وجبنة أعجب . . . ما أظنك إلا من
بقايا القوط !

القوطى : لم يخب ظلك يا سيدى . . .
عبد الرحمن : ماذا يعنى إينا شيخ القوط ؟
القوطى : دارى أيها الأمير ، أشعل النار فيها جنود

« أبى الصباح » ، ودمروها شر تدمير ، فلم يبق لى
ولا لمبالى فيها ملاذ يحميننا ..

عبد الرحمن : سنبعث اليك من يشهد دارك ثم ننظر فى إصلاحها
لك ولعيالك .

القوطى : أتم الله على الأمير نعمة النصر والتوفيق .

يمى ويصرف
بدر : (مشيرا إلى واحد من الجمع) تقدم أنت ...

يخدم رجل ذو أفع ، وزين السمات ،
وزين الخطر

عبد الرحمن : (للرجل) اذكر حاجتك أيها الرجل الأنوف .
الأنوف : أن نحمينى وأعلى ...

عبد الرحمن : ممن تطلب أن أحملك ؟

الأنوف : أطلب أن نحمينى منك ... منك أيها الأمير .

عبد الرحمن : وهل سبق إليك منى عدوان يارجل ؟

الأنوف : لقد وقع العدوان على من أحد رجالك ، وأنت
عنهم مسئول ...

عبد الرحمن : ومن ذا الذى اعتدى عليك ؟

الأنوف : عظيم دولتك « أبو الصباح » ...

صمت لحظات

عبد الرحمن : ماذا كان من أمره ، أبى الصباح ، معك ؟
 الأنوف : اقتحم على الدار فى عصابة من أعوانه ، وهمتوا أن
 يستبيحوا حرى ، فرددتهم على أعقابهم بعد لاي ،
 ولا آمن أن يسكروا على مرة أخرى ، وأخشى
 ألا أستطيع دفعهم عنى وإنى أستعديك عليهم ،
 فاصرف عنى كيدهم ، صرف الله عنك السوء ...
 عبد الرحمن : (حازم اللهجة) لا تخش من بأس ... ارجع إلى
 دارك ... أنت وحرملك فى حماى ...

الأنوف . حماك الله يا حماى الأعراض !

ينصرف رافعا يديه بالدعاء

بدر : (مشيرا إلى العملاق الطالع المتكى على عكازه)
 وأنت ماظلامتك أيها العملاق ؟

العملاق : (متحاملا على عكازه فى خطوه) إنى رجل أشكو
 النقرس ، لا أستطيع الخطو إلا بجهد ، ولكنى سعبت
 إلى الأمير لأرفع إليه ظلامتى ، وأنا لا آمن أن
 يسعفى منطقي فى حضرة الأمير ، فكتبنت الظلامه
 فى رساله .

يضرب يده فى صدره ، فيخرج ورقة
 مطوية ، ويحاول أن يقدم بها ، فتخونه
 قدامه ، فيتوجع مستندا إلى عكازه ..

بدر : (للعملاق) قف مكانك ، لا تشق على نفسك ...
سأتسلم الرسالة منك ...
عبد الرحمن : (ناهضاً) أنا الذى أسعى إليه ، فما السعى فى سبيل
ردّ المظالم لإقربة إلى الله وزلفى .

« عبد الرحمن » يتدافى من العملاق ،
ويتناول منه الرسالة ، ولا يسكاد بسطها
تحت ناظرية حتى يستل العملاق من
نطاقه خنجرا يهاجم به على « عبد الرحمن »
محاولاً أن يصيب منه طعناً
« رواج » يخرج مافية بنفسها على
« عبد الرحمن » تقتديه ، فتتاق الطعنة
وتحمر على الأرض

بدر : (صائحاً) شدُّوا على الخائن المغتال .

الجنود يتكالبون على العملاق ، وما يزالون
يضيرونه حتى يخنقوه ، ويشدوا وثاقه .
« بدر » يواصل أمره إلى الجنود

غلقوا الأبواب ... خذروا من تحوّم حولهم الشبهات
لا يفلت منهم أحد

هرج ومرج
« عبد الرحمن » ، يميل على « رواج »

منيا بها « منارة » يقبل عليها متفصفا
إياها

بعض الخدم يمدد « رواح » على حنية:

رواح : (وهي تحتضر ، تقول لعبد الرحمن) حمد الله على
أنتك نجوت أيها الأمير ... أموت قريرة العين بأني
فديتك !

عبد الرحمن : لا بأس عليك يا « رواح » ، ... أنت في عافية إن
شاء الله ... ستشفين من جراحك لا محالة ...

بهمز ، قال « منارة »

احملوها الى الحجرة المجاورة ، واتعنوا بها جمـد
العناية ...

بعض الخدم يحملون الحفية عليها « رواح
وينصرفوا بها مع « منارة »
« عبد الرحمن » وقد مثل قبالة العملاق
القتال ، وهو متغنى من الضرب ، لا يكاد
يقيم عليه من الأعياء ، يقول له : ...

ماذا جرك على هذه الفعلة الآثمة ؟ هل أسأتنا إليك ؟

العملاق : (وقد تمالك على الأرض ، يقول متحشرج الصوت)
لا والله ما حملت ضعفالك ، ولا سلافت منك لإساءة

إلى ... لقد غرّروا بي، قاتلهم الله !

عبد الرحمن : أخبرني من حرضك على أن تغتالي ؟

العملاق يجهم :

بدر : (يتقدم منه في نلطف) اعترافك يا هذا يخفف

من جرمك ، ويمد لك سبيل الرق بك ...

والأمير قريب العفو مستباح .

عريف الجند : (وقد وضع شباة سيفه على رقبة العملاق يغمزه

بها) انطلق ... أجب الأمير عن سؤاله لك .

العملاق : (وقد أدركه التخاذل : يغمغم متلعثما)

« أبو الصباح ، ... لا عسبجته الله بخير !

بدر : من ؟ أفصح ... اجهر بقولك ...

العملاق : (واضح الصوت) « أبو الصباح ، ... لأ أحد

غير « أبي الصباح » !

همة بين الجمع يدور فيها اسم « أبي

الصباح »

عبد الرحمن : (وهو يتند ، كأنه يفكر) « أبو الصباح ، ؟ ...

« أبو الصباح » !

يقول لعريف الجند ، مشيرا إلى العملاق .

ألقوه في غيابة السجن .. لا تمسوه بسوء ...

حتى نأمر أمرنا فيه . . .

الجند يصرفون بالمدلاق ومسمم « بدر »
« منارة » يقدم ، والأسي مرتسم على
أساوره فيقول له « عبد الرحمن » :

ماذا يا « منارة » ؟

منارة : (خافضاً هامته) البقاء لله أيها الأمير . . . لفظت
« رواح ، آخر أنفاسها ، لاهجة باسمك ، داعية لك
بطول العمر . . .

عبد الرحمن : (في شيء من التعجل) وأسفا عليها . . . إلى
رحمة الله يا « رواح ، ا

يصبح وكأنه يحس خلاصه من حمل كان
ثقله

فلتُفَقِّم لها جنازة مهيبه ، وليشيد لجمعها ناضج عظيم ا

« منارة » يصرف

« أبو الصباح » يهرول إلى البهو محملاً

محطلاً بأشباعه

أبو الصباح : (نائراً) أنسيت أن الغادر الانيم يحاول أن يلصق

بـي تهمة شنعاء . . . وما أنا من هؤلاء الذين يتخذون

سلاح الخنل والغدر . . . لقد نصرتك علانية ،

وجهرت بتأييدي لك كل الجهر ، ولو قام بيننا خلاف

لكان عدائي لك سافرا عل رموس الأشهاد...

فلا تأذن لقالة السوء !

عبد الرحمن : وهل ثمة من خصومة بيني وبينك يا أبا الصباح ؟

أبو الصباح : كلا أيها الأمير ، ولا قدر الله .

عبد الرحمن : ألسنا على وفاق ؟

أبو الصباح : وأى وفاق ؟ ... تبارك الله !

عبد الرحمن : فلتشق بأن « عبد الرحمن » لا يلقي أذنا صاغية لمثل

هذا الغادر المغتال . أنت من رجال الخالص

يا « أبا الصباح » .

أبو الصباح : وسيظل سيفي مسلولا في سبيل نصرتك أيها الأمير...

عبد الرحمن : لازال سيفك مسلولا في سبيل نصرة الحق

يا « أبا الصباح » . ستعود الى « أشيلية » أميرا

عليها ، وسندعوك إذا عرضت الحاجة إليك ...

أبو الصباح : سألت أيها الأمير ودمت ...

يحي ونصرف مع أشياعه ، وهم يقضون

بالسيف

عبد الرحمن : (لمن بقي من الجمع) انصرفوا بسلام .

بحية الجمع يتنادرون اليهو

« عبد الرحمن » يتبرأ الى « سابق بن مالك »

أن يقى معه ، ثم يقول له في سرارة ..

«أبو الصباح، عائد إلى «أشبيلية» في شيعته، فنلتبهم
في شريعة من رجالك دون أن يعلم بكم أحد...»

أفهم أنت يا «سابق» ١٩

سابق : السمع والطاعة لمولاي .

عبد الرحمن : وعليك أن نذكي العيون والأرصاد على «أبي الصباح»

وأن تحكم حوله الطلاق، حتى لا يفوتك من نبتة

دقيق أو جليل...

سابق : أفعل يا مولاي .

«عبد الرحمن» يوصي «إليه» فيصرف

عن الهوى.....

«بدر» يقدم، فيجد «عبد الرحمن»

خالياً يـكـر.....

بدر : (محتاجاً) لقد برح الخفاء، وثبت أن «أبا الصباح»

كان قد ائتمرك بلبقتك، ولم تكن نجواتك في حسبان،

فكيف تجزيه على سوء فعلته بأن تؤمر دلي «أشبيلية»؟

عبد الرحمن : الحزم عين الحزم ما صنعت يا «بدر» .

بدر : أي حزم في أن تطلق مجرماً أثمراً لك الشر،

وتؤوى بك السوء ١٩

عبد الرحمن : لقد تغاييت وتغاضيت... وبعض الحزم أن

أتغايي وأن أتغاضى...

بدر : ثم ماذا بعد ؟

عبد الرحمن : أنسيت يا « بدر » ما كان بيني وبين « أبي الصباح »
من مشاركة في أول عهدي معه ؟ أنسيت ما ألزمني
به ثمنا لمناصرتي إياي ؟

بدر : لم أنس ياسيدي يوم جاءك رسوله يتشريط ، وأنت
تقبل ما يعرضه ويفرضه .

عبد الرحمن : لقد قبلت يومئذ شرطه ، وإن موف به ... فيم
سؤالك إذن عن موقف من « أبي الصباح » ؟

بدر : معذرة أيها الأمير ... يبدو لي أنني أصبحت غيبا !

عبد الرحمن : وهل كنت من هذا في شك ؟

بدر : ولكن ذلك الثعلبان ... حتى متى ندعه يسكر بنا
مكره السوء ؟

عبد الرحمن : تعاليم يا « بدر » أن المسارعة والعنف لا يبلغان
ما تبلغ المصابرة واللين ... وإن صرعة التدبير
والآناة أفنك من صرعة العجلة والتهور ...

« عبد الرحمن » يتخفف من ثيابه ...

« ضحى » تقدم ، فيد لها « عبد الرحمن »

قدميه فتجلس عندها ، وتخلع عنهما

ثلبهما ، وتشرع في دلكهما ...

« عبد الرحمن » يتأفف قوله « بدر » .

امض يا بني فهي لنا مجلس أنس وطرب ، نستمتع
به ليلتنا هذه . . . ما أخرجني إلى أن أسرى عن نفسي !
بدر : نعم الرأي ما رأيت أيها الأمير . . . لتكون
ليلة بهجة وإمتاع !
عبد الرحمن : بل لتكون لك ليلة تمرح فيها على هواك . سأعفيك
من كل قيد ، لك أن تأكل ما تشاء ، وأن تشرب
ما تشاء ، وأن تنام بعد ذلك ما تشاء . . .

الفصل الرابع

العام اتم الخمسين بعد المائة من الهجرة،
و قد انتهى على أحداث الفصل السابق
اثنا عشر عاما
« عبد الرحمن » في السابعة والثلاثين من
عمره ، موفور الحيوية ، مشوب الفخاط
عليه سياء الإمرة والسلطات ، متخذ
لبوس البياض شعارا له ، معنى بأرجاء
حاشية عمامته على عينه اليسرى . . .
« منارة » فوق التمانين ، جلال المشيب
رأسه ، وبدا معنى الظهور . على الحركة ،
بهو الأعمدة في قصر « قرطبة » ،
لا تظهر له أبواب ، فالقادم إليه أو
المنصرف عنه يلوح شبحه بين الأعمدة
أرائك وثيرة في جانب من البهو ، عليها
وسائد وعارق وسجادات ، ستائر من
الحرير خلف الأرائك ، تستدل على شق
من نافذة مستطيلة ، زجاجها الملون يحمل
تقوسا عربية طريفة
ضوء الصباح يسفر
« بدر » و « منارة » يرآيان في الهو .

« منارة » يطلق ضحكة مديدة لمخلج

منها أو سله

بدر : (وقد بدا محمقا مغيفا) هذا لا يطلق... هذا لا يطلق...

منارة : أما قلت لك هدى من روعك يا سيدى « بدر » ؟ أما

نصحت لك أن تتخذ الصبر حليفا لك فى حياتك ؟

بدر : ألم أصبر طويلا ؟ أما كفى ما مضى من أياى وأنا محتمل

يا « منارة » اثنا عشر عاما مضت ، منذ نودى بالأمير

« عبد الرحمن » حاكما للبلاد . وأنا جواب آفاق ، لا يقر

لى قرار .

منارة : (مبتسما يربت كتف « بدر ») أنت موضع ثقته ، فهو

يختار لك المواطن الخطيرة ، تخضعها له ...

بدر : وقد فعلت ، يا « منارة » ... أليس لى بعد ذلك أن أستريح ؟

أليس من حق أنا و عيالى أن يجتمع لنا شمل ؟

منارة : هون عليك يا « بدر » .

بدر : عدت من « قشتالة » منذ أيام معدودات ، وهأنذا أتلق

أمرا بالشعوصر إلى البلاد البشكنس ، فى الشمال الأقصى ...

بلاد وعرة المسالك . محفوفة بالمخاطر ... لا قبلى بالذهاب

إليها ... سأرغب إلى الأمير فى أن يعفنى من الرحيل .

منارة : وماذا يعنى الأمير يارسالك إلى هذه البلاد ؟

بدر : يبغي أن أفأوض زعماءها في بعض الأمور .
منارة : لا بد أنها مهمات جسام ...
بدر : لا وحقك ...

تلفت حواله ، وبثأف قوله : ..
اسمع وعجب ... أميرنا هذا لم يكذب يستقر له الحكم ، وبأمن
كيد الثائر والمناوى ، حتى أصبح ولو عابثه جديدي يتخذ
لنفسه سلوة وملهاً ... إنه بأبي إلا أن يرهق رجاله بالرحلة
بعد الرحلة . فهو يبعث بهم إلى الثغور النائية ، والقاع
الوعرة ، موهما إياهم أنهم يؤدون له ولبلاد جليل
الخدمات .

منارة : (يهر رأسه ، وكأنه يتاجى نفسه) حقاً لقد ناله الكثير
من الإرهاق ، وقضى أيامه مشقة لشمل ، دائم الارتحال
بدر . (مسترسلاً) أعجب العجب أنه بينما يستقدم أهله من الشام ،
ويلم شمل ذويه من « بنى أمية » ، نراه يعمل على تشتيت شمل
رجال وأعرانه في « الأندلس » ... لا ... لا ... لا بد أن
ألقاه ، لألفته عن رأيه في إشخاصي ذلك البلد البعيد .

« ضم » تلوح حاملة مناشف وفوارير
مملوءة بالمطر
« بدر » يهرع إليها ، مستوقفاً إياها ، قائلاً :

هلا أخبرتني سيدتي ضحى، أميرة الغواني متى ألقى الأمير؟

ضحى : ما بَرِحَ الأمير في الحمام يا بدر .

بدر : (كاظما غيظه ، متلظفا) في الحمام ؟ ... قولى شيئا غير

هذا ... هل يقضى الأمير يومه كله في الحمام ؟

ضحى : لقد رجع من نزهة الصيد التي خرج لها في ساعة السحر ،

وغاب عنك ياسيدي . بدر ، أن يوم الصيد يتطلب من

الأمير قضاء وقت أطول في الحمام ...

بدر : ثمة مهمات جليلة الشأن تنتظره .

ضحى : أتَعْنِي مهماتك أنت أم مهمات الدولة ؟

بدر : (مندفعاً) وهل مهماتنا إلا مهمات الدولة ياسيديتي وضحى ؟

يستدرك اندفاعه ، ويستأنف : ...

وهذا أبو الصباح ، قدم ... هل أنهيت إلى الأمير نبأ

قدومه ؟

ضحى : الأمير على علم ...

بدر : عليك إذن أن تحثيه على الخروج .

ضحى : ليس من شأنى أن أفعل ... أنت أدري بما للأمير من طبع .

بدر : ألا أستطيع أن أعرف متى يزائل الأمير الحمام ؟

ضحى : كل شيء فى القصر رهن مزاج الأمير ... لا يملك أحد

أن يعرف ماذا يكون من أمره فيما يأخذوما يدع ...

منارة : (لضحى) لا أحسب أن فطنتك قد غاب عنها ما يحوم
حول « بدر » ...

ضحى : تقصد رحلته إلى بلاده البشكنس ، ... هي التي تشغل باله .

بدر : (مستعظفا) أيروقك أن أرحل يا أميرة الخوانى ؟

ضحى : (فى مداعبة) من يرضى غيبه « البدر » ، ١٤

بدر : هلا عجلت إذن على أن يبقى هذا البدر ، أو تكون له
مهلة قبل أن يغيب ؟

ضحى : أصارحك يا سيدى « بدر » بأن الأمير مصر على إر سالك
ولكنى سأبذل وسعى فى صرفه عن عزمه .

بدر : لا أنسى لك هذا الصنيع ما حبيت .

يلج فى يدها قوارير العطر ، ليتناول منها

قارورة ، ويتمها قائلا :

ما أطيب هذا العطر !

ضحى : إنه عطر البنفسج ... لا يطيب للأير عطر سوه .

« بدر » و « منارة » يصيحان من

القارورة قطرات

« ضحى » تسترد القارورة ، وتهول :

إني منصرفة ... الأمير يرقب عودتى .

بدر : على بركة الله

يقول في استهزاء : كأنه يتحدث إلى

نفسه :

البنفسج ... ما أشد حرص الأمير على هذا البنفسج ...

يتطيب بعطره ، ويملاً حدائقه بزهره ... وهو لا يستطيع

أن يميز بين رائحة ورائحة !

منارة : أخفض من صوتك يا بدر .

يلفت حوائيه ، ثم يتأف قوله : ..

ولأنه ليأمر الجوارى بأن يطلقن في بهاء القصر بخور

الورد ، وينهى أن يُتخذ بخور سواه .

بدر : لقد عاقب إحدى الجوارى على ظن منه بأنها أطلقت بخور

الصندل ، على حين أنها كانت أمينة في إنفاذ أمره ، لم تتخذ

عنه ... شدة ما يشير أنف الأمير متاعب له ولا تبعاه !

منارة : صـ ... لا ترفع صوتك .

بعد بصره خلال الأعمدة ، ثم يتأف

قوله :

المح قادمة ...

بدر : (ناظر احيث نظر منارة) هذا المرواني ، أمير الجيش

ومعه آذن من رجال القصر ...

« عبد الملك بن عمر المرواني ، يدو

مع تابع ، وما يتحدثان في خطوطهما
الوثيد

منارة : هذه فرصة ستحت لك ، لا تفوتها عليك ... تحدث إلى
أمير الجيش في شأنك ، عسى أن يعينك ، فهو كما تعلم
أخلص خلصاء الأمير من ذوى قرابته وأحب الناس
إلى قلبه ، وهو عنده مسموع الكلمة ، مستجاب
الشفاعة ...

بندر : سأفعل ، وأنظر ما يكون ...

« المرواني » يقدم رافع الهامة ، عليه
علام عزم حزم
« بدر » ومنارة « يقدمان إليه بحبياته

المرواني : (محيا) « منارة » ... « بدر » ... سلام
عليكما ...

بدر ومنارة : (في توقيف بالغ) على أمير الجيش السلام .

المرواني : فيم قدومكما الساعة ، والصباح جديد ؟
بدر : جئت أرجو الأمير ألا يعجل برحيلتي
إلى « البشكنس » .

المرواني : طالما أخذ الأمير عليك التذمر والتلحُّر فيما
يكلفك من أمر .

بدر : ورأسك ياسيدي ما تنمرت ولا تلحكت ...

المرواني : ها أنت ذا تعتل على الأمير في الرحيل إلى « ريشكنس » .

بدر : إنما أبغى مهلة استجمام أمضيها بين عيالي وأهلي .

المرواني : (مترددا) سأعالج أن أكله لك في هذا الشأن .

بدر : لا عسء متك نصيرا يا سيدي « المرواني » !

المرواني : لقد أنهوا إلى أن الأمير في الحمام ، أظن أنه يظل فيه طويلا وقت ؟

بدر : (مستيئسا) علم ذلك عند ربي .

المرواني : (في قلق خفي) فلا تصرف الآن ، على أن أعود بعد ...

منارة : لو أعلمناه بقدمك ، لعجل بالخروج .

للمرواني : (بعد تردد) ليس في الأمر ما يدعو إلى التعجل ...

يخدو ويروح في البهو حيران ، لا يدري
أيمكن أم يمضي .

بدر : هل كان صيد الأمير موافقا لغير اليوم ، حين خرجت معه يا سيدي « المرواني » ؟

المرواني : (وقد ارتاح لإطالة الحديث كي يسوغ له الانتظار)

كان موافقا غاية التوفيق ... كان صيدا شائقا .

بدر : عاد الأميرنا مشغوقا بالصيد ، بعد أن تركه منذ شغلته

المهمات الجسام ...

المرواني : إنك لتراه اليوم في طليعة الصيادين ، يتعقب أصناف
الحيوان في جدّ : فكأن بين الأمير وبينها نأرا قديما .

بدر : (مبسما في تخابث) هذا يبعث على العجب والحيرة ...

المرواني : وفيم العجب والحيرة ؟

بدر : لاشئ ... خاطر مر بيالى ...

المرواني : هلا أفصحت عنه ؟

بدر : كان الأمير مصروقا إلى تعقب الانسان ، فلماذا استتب

له الأمر لم يبق أمامه إلا أن يتعقب الحيوان !

يميل على « منارة » « منأفا » قوله :

ولكننى إنسان ، ولست بحيوان ... فلماذا يتعمدنى

بالملاحقة والتعقب ؟

المرواني : ماذا تعنى ؟

بدر : أعنى أن الأمير ولوع بالملاحقة ، على أى نحو تكون !

المرواني : شأن الجندى الأصيل ...

منارة : (فى ضحكة خفيفة) بل شأن المنتقم الذى يثار لنفسه ...

بدر : (ملتفتا إليه) ألم يقض أميرنا فجر شبابه يتعقبه الولاة

والحكام ، منذ ولى عن « الفرات » ، إلى أن قر قراره

فى « الأندلس » ؟

المرواني : (وهو شارد الفكر ، ذاهل عن الحديث) نعم ...

نعم أحسب أن الأمير مطيل مقامه في الحمام ...
أعود بعد فترة ...

ينصرف مشيا بالنعبة والتوفير ...

بدر : (لمنارة) ما باله بادی القلق ؟ ما أظنه إلا يريد الأمير
لشأن ذي خطر !

« منارة » صامت لوميء إجماع من لا

يدري جلية الأمر

« بدر » يتأفف لوله : ..

إخالتنا مقبلين على أحداث جسام .

يحدث إلى « منارة » يسأله :

« منارة » يستمك بعصته :

« بدر » يتابع لوله : :

هذا « أبو الصباح » لا يكاد يحل المدينة حتى تنطاب

الشاعات من كل صوب وحذب : : ما رأيك بربك ؟

« منارة » لا يجيب :

« بدر » يقول : :

لقد استدعاه الأمير لكي يعقد بمحضر منه خطبة

ولده البكر « سليمان » إلى ابنته الحسنة ، وذلك

ابتغاء توثيق أواصر الود، والتماسا للقضاء على
ما بينهما من خصومة وشقاق، فهل تركز إلى قبول
هذا الزعم ؟

يحدث إلى « منارة » كل التحديق . .
« منارة » لا ينس
« بدر » يصيح :

ألا تنطق ؟ . . . قل كلمة واحدة . . .

منارة : (وقد ضاق صدره) أما كفاني ما يغرقني به الأمير
في كل لحظة من أسئلة لا ينضب لها معين ؟

بدر : (متدانيا منه ، خافض الصوت) ماذا تقول ؟
أيضا يملك الأمير بأسئلته حقا ؟ وعم يسألك ؟

منارة : عن كل شيء . . . يطلب أن أتكهن له بكل ما يشغل
خاطره ، يريدني على أن أتعرف له طالعه وطالع كل
من حوله ، سواء أكانوا من الأنصار أم من الأعداء . . .
لقد أصبح استخبار الطالع عنده هو سأملاز ماله ، ونزعة
قاهرة لا يملك منها الفكك . . . وباليات الأمر مقصور
على طوابع الناس ، فقد جاوزه إلى استجلاء خفايا السكون
من نبات وحيوان وجماد . . .

بدر : عجيب . . . عجيب !

منسارة : لقد شَرَعْتُ أنعلم منطق الطير ، فإن الأمير بات
يسألني ماذا يعني بسقسقته العصفور ؟ وماذا يعني
بتغريده العندليب ؟ إنك لتراى هنالا أكاد أريم
للقصر ، لكي ألبى نداء الأمير ساعة النداء ، والويل
إن أبطأتُ عنه كل الويل

بدر : وفيه هذا العناء ؟

منسارة : لم يعد له غنى غنى ، كأن جزء مكل له ... أف
لهذا أف ؟

بدر : حسبتك سعيدا بحالك فإن الناس يغبطون مكانك

من الأمير ، وينظرون نظرة الغيرة إلى حياتك التي
تحياها في كنفه ، حياة الترف والنعيم في القصر المنيف
منسارة : بل حياة السجين المضيق عليه ، لانصيب له من الحرية
والانطلاق ... حياة العبد المصغد بأغلال من ذهب ...

حياة الطائر في قفص مرصع بالجواهر !

بدر : شتان بيني وبينك .. أنا أشكو الترحل ، وأنت تشكو

القرار !

منسارة : حسينا ما أفضنا فيه من حديث ... أريد أن آوى الى

ركن أنعم فيه بغفوة .. فقد أزعجني الأمير من نومي
في أخريات الليل ، لكي أرى له طالع يومه في

الصيد ، ولم تغتمض لى عين حتى الآن .

بدر : هيا بنا ...

يتأهبان للمضى

« ضحى » تلوح ، وبين يديها صرة فيها

متاشف وثياب مستعملة

« بدر » يهرع اليها ، مستوقفا لياما ،

قاتلا

أما آن للأمير أن يبارح الحمام ؟

ضحى : من أين لى أن أعلم يا سيدى « بدر » ؟

بدر : (متملقا) كيف لاتعلمين بافاته الغائبات ؟ .. أأست

منه على مقربة ؟

ضحى : وماذا يحدى القرب منه ؟ الأمير ! يفرغ من الحمام

وقتما يملوه أن يفرغ . أمامك « منارة » فاسأله

أن يتكهن لك بموعد خروجه .

« بدر » ينظر الى « منارة »

منارة : (لضحى ، صائحا) حقاً لم يكن يعوزنى إلا أن

أتكهن بموعد خروج الأمير من الحمام ،

« منارة » ينصرف ضائق الصدر

بدر : (مستأنفا حديثه مع « ضحى » فى تملق) دعينى من

« منارة ، وأخبرني أنت ، فعندك الخبر اليقين ...
أسألك هل انتهى من المنطقة العليا ، فغسل
الرأس والصدر ، وانحدر الى المنطقة الأخرى ،
فقارب الساقين والقدمين ١٩

ضحى : (متضحكة ، في معابثة) لا يا سيدى « بدر » .. إنه
ما زال فى المنطقة العليا .

بدر : (ضارعا ، رافعا يده) يا لرحمة السماء !

يسمع صوت الأمير
« ضحى » تردف السبح
.....

عبدالرحمن : (صوته من بعيد) « ضحى » « ضحى » ..

ضحى : (صائحة) لبيك يا مولاي ...

تقول « بدر » فى عجلة
.....

الأمير ينادى ... خذ هذه الصرة ...

تقذف بصرة المناشف والتياب المست
فى حضنه ، وتواصل قولها فى سرعة

اذهب بها الى المغسل ... على الفور !

تمضى مهرولة
.....

بدر : (وقد احتضن الصرة على كره منه، يتصايح) لا تنسى
ما رغبت إليك فيه عند الأمير... لا تنسى...

«بدر» يقف لحظة وسط البهو، يرمق
الصرة في ضيق، ويهمهم في تأفف...
إلى المغسل... لقد غدوت بحمد الله قهر مانا أحمل
الثياب المستعملة إلى المغسل، وأتلقى الأوامر
والنواهي من الجوارى والمحظيات!

يقذف بالصرة على الأرض، ويظهر اليها
في غضب. تتأذى إلى سمه أسوات،
فتبثت حوله في ذعر. ينحل على الصرة
فيحملها ويتعلق بها زائغ البصر، يحاذر
أن يفقد في طريقه أحد...
«عبد الرحمن» يلوح في لبوس الإمارة،
و«ضحى» وراءه... ..

عبد الرحمن : (لضحى) أما أمرتك أن تعدتى لى النعل الحمراء
المطرزة؟...

ضحى : بها بعض فتوق يامولاي...

عبد الرحمن : هاتيها... وأصلحي من فورك فتوقها.

ضحى : أعلم أن الأمير يخص هذه النعل بعناية ملحوظة...
كان يتعلمها في أكثر معاركه الظافرة!

توسمه في تلطف وإجسام ، وتسانله :

أيزمع مولاي الأمير أن يخوض اليوم غمار معركة ؟

عبد الرحمن : أطيعي أمري ، ولا تسأيني .

ضحى : سمعاً وطاعة يامولاي .

تفادر البهو

« عبد الرحمن » يخطو ، عاكفا يديه

خلف ظهره ، باديا عليه التفكير ، ثم

يقف رافعا رأسه بفتة

عبد الرحمن : (مناديا) « منارة » ... « منارة » ..

يعاود السير في خطا سراج

يوصل نداعة

« منارة » ، ... « منارة » ... أين أنت أيها المكسال ؟

منارة . : (صوته من بعيد) هاأذا يامولاي .

عبد الرحمن : تعال إليّ ...

« منارة » يظهر وهو يلم شعثه ، وينفض

عن عينيه أثر اللؤلؤ :

« عبد الرحمن » يقول

كنت نائما لاريب ... إياك أن تنسك ...

منارة : (في تلطف وتأدب) وهل النوم على عيني حرام

يامولاي ؟

عبد الرحمن : لو تُرِكَتَ وشأنك لما استيقظت أبدا الدهر... كيف
ترضى لنفسك هذا الخمول ، والناس كلهم فى نقطة
دائمة ؟ ... تقدم .

« منارة » يتقدم متباطئا

« عبد الرحمن » يقول :

افسح من خطوك ... انظر الى طالعى الساعة .

منارة : (متسائلا فى تعجب) الساعة ؟

عبد الرحمن : ماذا يحجم بك أن تفعل يا رجل ؟

منارة : (مستدركا) لا يمنعنى مانع ... بيد أنى أريد أن

أجمع شوارد قواى الروحانية ، فأهيه نفسى

لاستشفاف الطالع ...

عبد الرحمن : حسبك بعض لحظات ...

يتحرك ويذرع اليهو بخطاه

يرجع اليه قائلا

هل اجتمعت لك قواك ؟

منارة : (فى خضوع) كادت تجتمع ..

عبد الرحمن : عجل ، وانظر الطالع ...

« منارة » جدانى من « عبد الرحمن » ويفرس

فى وجهه ، ثم يتناول كفه ، ويفحص أصابعها

منارة : ثمة دماء... دماء حالكة كأنها مهبجة الليل...
دماء تموج وسط إعصار فيه نار.

« منارة » يعمت

عبد الرحمن : ثم ماذا ؟

منارة : (لافتواجهه) لقد كل بصرى ، فلم يعد يرى من شىء !

ينفض عينيه ليرى بها

عبد الرحمن : (يتعجله) ثم ماذا ؟ أعد نظرا ...

« منارة » يقبل على كف «عبد الرحمن»

منارة : (وهو يتفحص أسارير الكف) لا أرى غير
الدماء السود . . . وسط إعصار صاخب .

عبد الرحمن : أليس ثمة شعاع ؟

منارة : (وهو منكب يقرأ الكف) لا شعاع . . .

عبد الرحمن : (يصبح مغضبا ، وقد جذب يده جذبة يسقط منها
« منارة ، على الأرض) حقا لقد كل بصرى . . . بل

إنك لمشرف على العمى . . . صمى البصيرة !

منارة : (وهو طريق الأرض) ناشدتك الله يا مولاي ألا
تزج بنفسك اليوم في مخاطرة .

عبد الرحمن : اغرب عني . . قلت لك لا ترنى وجهك . . . ولكن

لا تبرح حجرتك ... ارتقب ما أمرك به ...

« منارة » ينهض في جهد ، ويمر نفسه

جرا

« بدر » يلوح شبحه بين الأعمدة في

خطوات متلصقة ، فما إن يشهد « منارة »

في حاله المهينة ، ويرى « عبد الرحمن »

مفضب الملامح ، شريد الصايح ، حتى

يجعل راغيا في المودة ، بيد أن « عبد

الرحمن » يلحقه

عبد الرحمن : (صائحا « بيدر ») تقدم .. تقدم ... ما بالك تتردد ..

« بدر » يقبل متكئا الابلسام ، وهو

يفرك إحدى يديه بالأخرى

« عبد الرحمن » يقول له

ماذا أبطأ بك عن إنفاذ أمرى إليك بالرحيل ؟

بدر : لم أعص لك أمرا يا مولاي ... ولكن ثمة رجاء

أطمح أن تحققه لحادئك المائل بين يديك ...

عبد الرحمن : (متصبرا ، عاقدا يديه خلف ظهره) ما رجأوك ؟

إني مصغ إليك ...

بدر : (وقد خائنه رباطة جأشه ، فتلعثم) رجائي ...

رجائي ... أحسبه يظفر بموطنك ... أرجو مهلة

أيام غير طوال ... أطل الله عمرك ...

عبد الرحمن : (مقاطعا لإياه) كفالك لغوا ... أنت الآن راح
لا بد ... أسامع ما أقول ؟

بدر : (مغنما) الآن ... الآن ...

عبد الرحمن : الآن ... وإلا ساءت العقبي !

بدر : سأنفذ أمرك يا مولاي ...

عبد الرحمن : (وهو يتردد في البهو حائر الخطو) واهامتكم يارجال
الدولة ، كما أردت أن ألقى على عاتقكم بعض أحمالي
لتؤازروني ، ألفتكم تفرقون عني ... يا خيبة أمني
فيكم ... التغرب .. الرحيل ... إنه الشبح المهروب
الذي يقض مضاجعكم ، وقد نسيت ما عانيته أنا من
تغرب ورحيل ، ومن مفارقة للأهل والوطن ،
ولولا ذلك لما نبه لي ذكر ، ولادان لي وطير ..

يلفت إلى « بدر » صاعدا

امض ليطيبتك ، وأنفذ ما أمرتك به ...

بدر : سمع وطاعة ...

يصرف متعرا في خطوه

« ضحى » تبدو في يدها النعل الحمراء

المعلّزة التي طلب « عبد الرحمن » أن

تمدها له

« عبد الرحمن » يجلس على مقعده ، ويمد

قدميه

« ضحى » تزعج من قدميه النمل التي يجتذها ،

وتضع فيها النمل الحمراء

عبد الرحمن : حسنا ... حسنا ... اذهبي واستقدي لى « سابق

ابن مالك » ...

ضحى : أمرك يامولاي .

ترك البهو

« عبد الرحمن » يرمى النمل الحمراء في

قدميه هنيئة ، فبدروته ضحكة ، تعقبها

قهقهة ، ثم ينجح عليه صحت التمسكير ...

يمدح في البهو خطوات تفضى به إلى

النافذة ، فيزجج «نمل التارشيث» ويهدمهم :

عبد الرحمن : دماء سود تموج في إعصار صاخب ... ولا من

شعاع !

يحدث صوته ، ويمتد إلى الأفق البعيد

بصره

هراء وهذر .. . بل هناك شعاع ... شعاع ساطع

وهاج !

يبدو « سابق » :

سابق : (في صوت منخفض) مولاي !

عبد الرحمن : تقدم يا « سابق » ... ادن مني ...

« سابق » يقترب :

« عبد الرحمن » يقول :

ازدد مني قربا ...

« سابق » يستجيب له :

« عبد الرحمن » يميل عليه ، ويقول

فما يشبه الحمس : ... :

هل فرغت من تدبير ما أمرتك به ؟

سابق : أنفذت مشيقتك .

عبد الرحمن : أكنت وعيتَ قولي حرفا حرفا ؟

سابق : وعيته أتما وعى ...

عبد الرحمن : الغلمان لا يتحرك منهم أحد إلا حين أشير .

سابق : إلا حين تشير أيها الأمير ...

عبد الرحمن : حسن ... امض لشأنك ... وراقب ... وكن

دائما على أهبة ...

سابق : اطمئن إلى تدبيرى ، ولا تحمل للأمرهما ...

ينحنى مهتئا للانصراف :

عبد الرحمن : (يلاحظه بقوله) ادع لى « ضحى » ، وليسكن معهما
العُود ..

سابق : أمر مولاى . .

يُصرف
« عبد الرحمن » قبالة النافذة يرى يصره .
وبها وراها

ضحى : (صوتها من داخل ، تنشد على ضربات العود) :
أيها الراكب الميمم أرضى أقبر من بعضى السلام لبعضى
إن جسمى كما تراه بأرض وفؤادى وما لى لىه بأرض

« عبد الرحمن » مصغ إلى الإنشاد
ولقد حاجت شجونه ، فهامت نظرائه فى
الأفق البعيد ، أنا كما يستكشف بها مواطن
الآباء والأجداد فى المنام
« ضحى » يتوضح صوتها بالنقاء ، ثم
يلوح شبحها بين الأعمدة ، وهى تنهذى
فى سيرها على هيئة ، مديدة لإنشاد
الشعر
« عبد الرحمن » على حاله يصغى مستغرقا
فى أحلامه ، وذكرياته
يتمى النقاء قبلت ناجة « ضحى »
فاذا هى نجاهه فى يدها العود وإذا
هى متحنبة تحبه

عبد الرحمن : (اضحى) أحسنت إنشاد البيتين ... ما أعذب
الصوت !

ضحى : لولا روعة الشعر الذى جادت به قريحتك يامولاي
لما كان لصوتي أن يجود فى غنائه .

عبد الرحمن : (وقد رصف حسه ، وتوقدت شاعريته) والنخلة
يا « ضحى » ... النخلة الكريمة التى بعثت بها أختي
من الشام ، فتوليت غرسها فى البستان ييدى .
حدثينى حديثها ...

ياق بنفسه على الحشايا

ضحى : ليس أبدع من قولك فيها يامولاي .

تأخذ بحاسها عن كعب من قدميه . وتتشد

على ضرب «مود» :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة تنامت بأرض الغرب عن بلاد النخل
فقلت « شبيهى فى التغرب والنوى وطول ابتعادى عن بنى » وعن أهلى

« الروانى » أمير الجيش يلوح من

خلال الأعمدة ، متهللا فى سيره ، على

وجهه دھشة لا يرى من مجلس الفتاة .

« ضحى » تم انشادها ، فيتقدم « الروانى »

سريه الخطا يحبى الأمير

المرواني : سلام على مولاي الأمير .
عبد الرحمن : عليك سلام الله يا مرواني ...

«عبد الرحمن» يوميء إلى «ضحى»
أن تنصرف ؛ فتضفي حاملة العود . .
«عبد الرحمن» يشير إلى «المرواني»
أن يجلس بجواره فيستجيب

المرواني : أخشى أن أكون قد قطعتُ على الأمير ساعة الحفظ
من الطرب .

عبد الرحمن : إن هي إلا فترة التمسّت بها بعض الصفو والانتعاش .

يرنو إلى «المرواني» وعلى فمه ابتسامة
غامضة ، ثم يقول :

السنا مقبلين على مهرجان صفو وإنعاش ؟
المرواني : لعل الأمير يشير إلى خطبة ولده الأمير سليمان ،
إلى ابنة «أبي الصباح» ...

عبد الرحمن : لقد حذرت مقصدي ...
المرواني : مبلغ علمي أن الأمير سليمان ، ليس في «قرطبة» ،
عبد الرحمن : لقد أشخصته إلى «طليطلة» لينجز لي بعض الشأن ...
المرواني : والخطبة ؟

عبد الرحمن : ستمقد الخطبة ... ألا يغني فيها أن أكون أنا

و « أبو الصباح » حاضرين ؟

المرواني : لتكن مشيتك يا مولاي ...

عبد الرحمن : ما كنت هازلا إذ بعثت « ابن خالد » و « ابن عثمان » ..

ليدعوا « أبا الصباح » إلى « قرطبة » ...

المرواني : وقد دعوا ، وما زال به يقنعانه حتى لبى الدعوة .

ولأنه لقادم الساعة للقاء الأمير ...

عبد الرحمن : مرحبا به ... إلى ملاقيه ... عجيب أمر « ابن خالد »

و « ابن عثمان » ... إنهما يأخذان مني بيد ، وباليـد

الأخرى يأخذان من « أبي الصباح » . إنهما يدقان

الطبل من ناحيته !

يرسل ضحكة مخفية

إنهما من الشططار ... ولكن خبرني كيف تقول

إن « ابن خالد » و « ابن عثمان » ما زال به حتى

أقنعه بتلبية الدعوة ؟ ... ألم تقع منه موقع القبول

باديء بدء ؟ ...

المرواني : له المexcuse في أن يكون من هذه الدعوة على حذر

واحتياط . فقد تفاقمت بينكما المنازعات ...

عبد الرحمن : ما حاجته إلى الاحتياط والحذر ، وأنا أدعوه

لإصلاح الأمر، وتوثيق الود، ونبذ الخلاف...
ستكون خطبة ولدى ابنته فاتحة عهد من الألفة
والوثام...

المرواني ينهض على فلق ونضاي
«عبد الرحمن» يقول له...

ألم يطب لك ما أقول؟

المرواني : الأمير لا يقول إلا الحق والصواب .
عبد الرحمن : (وهو ينهض) دع ما تحاسنني به من القول .
وصارحنى بما يحول فى خاطرك من رأى ...
لا نكتم عنى خبيثة نفسك !

المرواني : لم لا تقضى على هذا العدو الآلة بضربة حاسمة ،
كما كان شأنك فى كل من ناصبك العداة ، وناولك
فى الأمر ؟

عبد الرحمن : (باسم الثغر) : لا تستأصل شأفة عدو ترجو
صداقته ، واستبقه لمن هو أشد عداوة منه ...

المرواني : ليس فى هذه الجزيرة من هو أشد عداة من «أبي
الصباح» ... فلن تسبقه أيما الأمير ؟

عبد الرحمن : أأنت تخشى «أبا الصباح» كل هذه الخشية ؟

المرواني : حسبي أني نهبت الأمير إلى ما يُخَدِّق بنا من خطر... لقد دخل « أبو الصباح » المدينة في هذا اليوم دخول الغزاة الفاتحين، تحف به فرسانه أربعمئة، في أهبة من السلاح وعدة، وعن يمينه صفته « ابن عثمان » وعن يساره أمينه « ابن خالد »، وإنه ليطارحهما الحديث كأنهما من وزرائه وأركان دولته... لا ريب أنه اليوم أعز نفرا منه بالأمس، أما في الغد القريب...

عبدالرحمن : (يسأله بقوله) لا تحدث عن الغد... عليه عند الله !

المرواني : أهون عليك يا عبدالرحمن، أن ترى ذلك الصرح العظيم الذي جاءت في إعلانه ينهار في طرفة عين؟ عبدالرحمن : (وقد حمى أنفه) حسبك يا مرواني، حسبك... المرواني : (في اندفاع) لقد تحمضت لك النصح، وأخلصت لك القول... لزوم عليك أن تستأعمل شأفة ذلك الرجل ومن يلو ذبه...

عبدالرحمن : (يواجه المرواني في حزم، ويصيح) إني لأعرف الساعة التي أنزل فيها خصمي، وكفى... المرواني : (وقد قرت حديثه، وتراجع) ما أردت أن أثبك

وإنما بعثني على المصارحة فرط الغيرة عليك ،
فليغفر لي مولاي جمّاح القول .

عبد الرحمن : لا عليك ... كل ما أرغب إليك فيه أن يكون
مَن تحت إمرتك من الجنّ في تمام الإهبة ، لا أستثنى أنا
من ليل أو ساعة من نهار ...

المرواني : إنهم يرتقبون صوت النداء ، فادعهم وقمّا تشاء ،
وانظر كيف يكون الجواب .

لحظات صمت
« عبد الرحمن » في البهو ذاهب آيب .
أذن يقدم

الآذن : « أبو الصباح » يا مولاي ينتظر إذنك في القدوم
عليك ...

عبد الرحمن : (صائحاً) فليقدم الآن ...

الآذان يصرف
« عبد الرحمن » يحول في البهو فسيح
الخطو ، على عجاء عزيزة وضياء
يفتح تجاه « المرواني »

عبد الرحمن : (ويده على كتف « المرواني ») عليك الآن أن
ترقب الأحداث في يقظة وانتباه .

الآذن يعود
الآذن : (جهر الصوت) « أبو الصباح » أمير « أشيلية »

« أبو الصباح » يهل في حلة ثينة فضفاضة
متدالسير، متخذ إشارة المأبة والاعتزاز «
وعلى جانبيه « ابن عثمان » و « ابن خالد »
« من ورائهم ثلة من رجال القصر ووجوه
الدولة
أحراس من جند « عبدالرحمن » ينشرون
في أرجاء البهو ، في مقدمتهم « سابق بن
مالك »

أبو الصباح : (محيا) السلام على الأمير « عبد الرحمن » ...
عبد الرحمن : (متدانيا منه ، متلقيا إياه في حفاوه) وعلى صهرنا
العزیز تحية وسلام .

الحاضرون يتخذون مجالسهم في البهو -
« أبو الصباح » عن يمين « عبدالرحمن »
و « الروائي » عن يساره »

أبو الصباح : (في لهجة مهذبة لا تخلو من استعلاء) يسعدني أن
أصير إلى أمير البلاد .. هذه الخطبة السعيدة
جديرة أن تقطع السن الوؤشة الذين أشاعوا عنا
شائعات السوء ، حتى توهم الناس أن كلاً منا يضم
لصاحبه العداء ... »

عبد الرحمن : عداة ؟ أى عداة ؟ شدّ ما يطمس الناس حقائق
الآشياء ... قُصَّارَى ما بيننا تنافس نبغى به خير
هذا الوطن ...

بصفى يديه تصفيقة خاصة لها متزى .
«سابق بن مالك» يخرج من البهو
شاهرا سيفه ، ولا يلبث أن يودوخلقه
«ضحى» ملثمة بنهار من حرير . وبين يديها
وسادة عليها شيء منطوى
«ضحى» تتقدم الى «أبي الصباح» . .
الحاضرون يتعجبون

عبد الرحمن : (لأبي الصباح) مفاجأة طريقة ، حريّة بمقدّمك
الميمون ... فلتكشف الغطاء عن الوسادة
ياد أبا الصباح . .

«أبو الصباح» يستجيب ، فيتجلى خنجران
مرصعان ، يلتمع لهما نعلان حادان . . .
همة تسرى في الجمع ؛

أبو الصباح : (متأملا ما يرى) خنجران ؟
عبد الرحمن : نصلّاهما كرىمان ... تأملهما ... وازن بينهما ،
فلعل أحدهما يفضل الآخر ...
أبو الصباح : (يقلب الخنجرين بين يديه) لهما يتماثلان

وزنا ورهافة نصل .

عبد الرحمن : خذ أحدهما . . .

أبو الصباح : هدية ثمينة وأيم الله .

يستبقى أحد الخنجرين

عبد الرحمن : لى الآخر .

يتناوله من يد « أبي الصباح » ويجهز

يقوله

ما قولك يا أبا الصباح ؟

مفاجئا

إني أدعوك الى المبارزة، فاشهر خنجرك ، واقتلنى

به إن قدرت .

المهمة تملو فى الجمع

« أبو الصباح » تأخذه البتة ، ويرمى

« عبد الرحمن » متساقلا

أبو الصباح : امازح أنت أيها الأمير ؟

عبد الرحمن : لا مزاح يا « أبا الصباح » ، ... إنه الجد كل الجد ...

ألم يسبق لك أن دسست خنجرا كهذا فى يد قى

مأفون ، ليغمده فى صدرى . . . كان ذلك منذ

اثنى عشر عاما . . . أنسىت ؟

أبو الصباح : (ممتقع الوجه) أما زلت تأذّن لو شأيات السوء ؟
عبد الرحمن : إني لأواجه عدوى ، لأطعته في ظهره ، وإني لأريد
أن أبعثها حربا من أجلك تشق بها البلاد ولا مناص
من أن يموت أحدا ليحيا الآخر ...

أبو الصباح : كيف ؟ ألا يتسع حكم «الاندلس» لنا معا ؟
عبد الرحمن : لا قبلَ للبلاد باحتمال سيدين يتنازعا ن السلطان ...
حسبهم أن يكون الحكم لسيد فرد ...

يقف ، فلا يملك «أبو الصباح» إلا أن
يقف مثله . فينهض الجالسون جميعا ..
«الرواني» يتبع المعبد ظاهر الاحتياج .

أبو الصباح : وتريد أنت أن تكون السيد الفردي ؟
عبد الرحمن : إذا شاء ربّي ... طعنة من خنجر ، فيها القول الفصل .
أبو الصباح : وإذا سقطنا معا ، وخنجر كل منا مغمد في صدر
صاحبه ؟

عبد الرحمن : فليكن ... لكيلا تكون منافسة ، وبأهلنا يعم البلاد .
أبو الصباح : ولماذا اخترت الخنجر ، ليحسم الأمر ؟
عبد الرحمن : إنه أفنك في القتل ، وأشقى للفل .
أبو الصباح : ولكن الخنجر في يدي مثل السيف في يدك .
عبد الرحمن : مادمت أنا الداعي إلى المبارزة فلا أحتمل ... بهذا
أريح ضميري ، إذا أسرك فرصة الظفر بي .

أبو الصباح : لو أنك أنصفتني في أمسك ، كما تصفتني اليوم من نفسك . لما تخرج الأمر بيني وبينك .

عبد الرحمن : هذا يوم انتقام لا يوم عتاب ... فأنار لنفسك من ظلمى إياك .

أبو الصباح : لقد طابت نفسى لك ، فلنتناس ما مضى ، ولنتصافح ...
هلم إلى ... دعنى أقبلك

يتداني منه
« عبد الرحمن » : برقع يده بينه وبين « أبي
الصباح » ، مانعا إياه أن يقترب منه ،
قائلا له :

لا تتعجل القبلة ... فإنما هى بعد أن تنجلي المبارزة ...
الظافر الذى سيتولى حكم البلاد وحده ، هو الذى
عليه أن يقبل جبين الطعين المهزوم ، ذلك الذى حرم
البلاد وحدة الحكم واجتماع الكلمة .. تأهب
يا « أبا الصباح » !

كلما يطلع طيفه ، ويشمر عن ساعده
عبد الرحمن : إلى الفناء واختار المكان الذى يروقك ... ولا يقبضنا أحد

يصرقان
« الروافى » : يعجل إلى رئيس الأحرار .
فيصر إليه أمرا ، فيصرف لينفذ الأمر .
« الروافى » : يستألف تبعه للمهده ،

ويده على مقبض سيفه
 الجحجح ومعهم « ضحى » يهدون البارزة
 التي تخبر في القناء خارج البهو وكلهم في
 قلق وجزع ، هذا « ضحى » التي وقعت
 في مقدمتهم تنقل إلى الجحجح وصف ما ترى
 بالحركة والإشارة والأياء ، يلوح على
 محياها الملمع تارة والفرح تارة ، وتند
 عنها مرة صرخة الخشبة والحذر ، وصحة
 صيحة التحس والاشتبار
 الجحجح خلف « ضحى » يرقبون البارزة
 متعامسين ، تتعاقب على سمائهم أمارات
 السخط والاعجاب
 للصمت يومين بقنة
 المبارزة في لحظه فاصلة
 الأتفاق مخربة ، والعيون باحظة ..
 « ضحى » تصبح صيحة عارمة ، وتنقل
 وجوها يديها
 « أبو الصباح » يدو ظهره في البهو ،
 فلا يلبث أن يستقبل الجحجح بوجهه ، ولكن
 سرعان ما يخر على الأرض صريحا ..
 يتحلى « عبد الرحمن » مبهورا بالأنفاس ،
 ملقيا بالخنجر من يده
 « ضحى » تهرع إليه جاتية عند قدميه ،
 تقبل فلاذلة ثوبه
 « عبد الرحمن » يربت رأسها
 ونفيس الأكراس يعود

عبد الرحمن : لا يهزج البهو أحد .

المرواني : الأبواب كلها موصدة يا مولاي ...

عبد الرحمن : (رانيا إلى أبي الصباح ، في مسقطه على الأرض) :
فليحمل أخى ، أبو الصباح ، إلى الحجرة المجاورة
في حفاوة بالغة ... وليوسد رأسه وسادة مطرزة
بالذهب ... كان من أركان دولتى ، وكان محاربا
شجاعا شديد البأس فى القتال ، وقدمات ميتة نديدة ...
فليكرّم أجمل تكريم ...

« حايق بن مالك » يتقدم فى ثلة من
الأحراس ، فيحملون جثمان « أبى الصباح »
« عبد الرحمن » ينحنى على جثمان أبى
الصباح « فيقبل جبينه ، وهو يقول ...

هاك قبلة الظفر !

الأحراس ينصرفون حاملين الجثمان .
« عبد الرحمن » يواصل قوله صائحا .

فليات « منارة » على عجل !

أحد الأحراس يمشى ليتخذ الأمر ...
« عبد الرحمن » يتقدم إلى « ابن عثمان »
و « ابن خالد » فيجد جهما ينظراته ،
ثم يقول

أتؤمن أن مثل هذا المصير ؟ أم تختاران مصيرا غيره ؟

ابن عثمان : (في ثبات المزمور) لك الأمر وحدك ... فاقض
ما أنت قاض !

عبد الرحمن : (للروائي) فَلْيُسْتَفَيْدَا فِي أَقاصِي الثغور ...
المرواني : أمر مولاى .

« الروائي » يتبر إلى رئيس الأحرار .
آن يقبض عليهما ، فيستجيب منصرفاً بهما .
« منارة » يدو وهو يمرر نفسه في جود .
« عبد الرحمن » يلمحه

عبد الرحمن : (صائحاً) تقدم يا « منارة » ، ... ماذا أنت قائل
فيما تكهنْتَ به لى صبح اليوم يا شيخ الزور !
منارة : (متلعثماً) مولاى الأمير ... أيدك الله بالنصر ...
عبد الرحمن : (مقاطعاً إياه) عليك أن تسجن نفسك فى
حجرتك . لا تبرحها إلا حين آذن لك ، وليكن
طعامك الخبز القفار ... أنفذ أمرى ...
منارة : اسمع لك والطاعة ...

يدبر فى خطى متعثرة

عبد الرحمن : (للروائي) اخرج لى فرسانه أبى الصباح ، فاشتر
عليهم بدر المال ، وتعهدهم بالعطايا والمنح ، وأمنهم
على أنفسهم ، وليعلموا أن ليس للبلاد إلا أمير

واحد، يخضعون لحكمه، ويدنون له بالسمع والطاعة... هو عبد الرحمن الأموي، أمير الأندلس، كلها غير منازع...

المرواني : (هاتفا) ليحيى عبد الرحمن، أمير الأندلس...
ليحيى «عقر قريش»!

الأحراس وغيرهم من الحاضرين
يردون الهاتف

لفصل الخامس

بعد أحد عشر عاماً من أحداث الفصل
 السابق
 العام الحادى والستون بعد المائة من
 الهجرة
 « عيد الرحمن » فى الثامنة والأربعين من
 عمره مكمل الزعامة ، شديد الاعتزاز
 بنفسه
 ناحية من شمال مدينة « سرقطة »
 يقوم فيها معسكر « عيد الرحمن » .
 وحجة من سراق ، تترادى فيها بسط
 نمتة ، تأثرت عليها حشايها ووسائد .
 عن اليمن فرجة ولسعه ، هى السباب
 الأكبر للسراق ، منه تلوح خيام وأعلام ،
 وجند فى جيئة وذهوب ، وعلى رأس
 الفرجة ثلة من الأحرار
 راية بيضاء تتجلى خفاقة عن كعب من
 الفرجة
 فى وسط الرحلة فرجة ثانية تسدل عليها
 ستارة مطرزة ، يقوم خلفها مجلس
 « عيد الرحمن »
 عن اليسار فرجة أخرى ضيقة ، لانتكاد
 تستين للمين ، هى منفذ الى مساكن
 الأتباع

الوقت صدر النهار
 « سابق بن مالك » رئيس حجابة
 الأمير « عبد الرحمن » يبدو من الفرجة
 الوسطى ، سريع الخطو ، على وجهه علام
 الاهتمام ، وفي يده قرطاس مختوم

سابق : « ابن مسعود » ... « ابن مسعود » ...

« ابن مسعود » يقدم
 « سابق » يرفع إليه القرطاس قائلا :

تلك رسالة مولانا الأمير إلى « المرزاني » أمير
 الجيش ... اركب من فورك جوادك ، واقصد
 معسكره ، واطلب لقاءه ، وأسلم إليه الرسالة ،
 لا يأخذها منك أحد غيره .

ابن مسعود : أفعل يا سيدي .

سابق : لاتنس أن فصائل جيش « قارلة » (شارلمان) تعشش
 في شخاب الجبال ، قريبا من معسكرنا هذا ... حاذر
 أن تسقط الرسالة في يد الأعداء .

ابن مسعود : سأفديها بدمي .

سابق : امض على بركة الله .

« ابن مسعود » ينصرف

« سابق » يتدير في وقته ليعود
فلوح أمامه الآن « حسان »

حسان : « يعقوب النحاس » هبط المُخَسِّمَ في جمع من
الجواري ، وهو يلح في طلب لقاء الأمير .

سابق : الأمير في مجلس حرب ، اذهب ، وألق « يعقوب »
وجواريه بعيدا عن المُخَسِّم .

حسان : أمرك يا سيدي مطاع .

« حسان » يصرف
« سابق » يعود من حيث أتى
« هرقل » القزم لاعب العطرنج ، يقدم
من فرجة الأتباع الصغرى ، تحت إبطه
رقعة الشطرنج ، وهو يتلفت في محاذرة ،
ثم يفتحي ناحية من الرجة ، فيجلس
بأسطى الرقة ، ملاحبا نفسه
« ضحى » تقدم من باب المرافق . . .

ضحى : (وقد رأت « هرقل ») « هرقل » ، . . . لاعب
الشطرنج الأشهر .

هرقل : سيدتى « ضحى » . . .

ضحى : لا أجذك إلا منكبتا على الرقة تلعب ... وإن لم
يكن معك لاعب !

هرقل : (في نظرف) إني أدبر لعبة جديدة ... لعل
أغلب بها الأمير .

ضحى : كيف تغلبه وأنت تستضعف له ، وتتضع الهزيمة معه ؟

هرقل : إني لأتضع الهزيمة خشية بطشه ... إذا واتاني
الحظ في اللعب ، فانتصرت عليه ، ضربني خمسة
وعشرين سوطا ، حتى دَمِيَ ظهرى من السياط !

ضحى : (متضاحكة) يا له من ثمن للانتصار عظيم !

هرقل : لم يعد تصنعى للهزيمة مجددا في نجساتى من سياط
الأمير ... انكشفت له حيلتى ، فحتم على اليوم أن
ألا عبه مخاطرة على رهان ، وألا أتضع معه الانهزام ،
وإلا كانت عقوبتى خمسين سوطا على ظهرى ...
هأنذا أعد العدة لتلك المباراة الخطيرة التى أخشى فيها
النصر والهزيمة معا !

ضحى : فلتحمل ما يَحْتَمَلُك الأمير إياه ياد هرقل ، ... إن
لعبك بالشطرنج معه يتيح له ساعة هو وتسلية ...
وعلىنا جميعا أن نبذل ما فى وسعنا لكى نوفر له
جانبا من الصغو والإيناس .

هرقل : هذا حق ... الأمير يصل ليله بنهاره فى جدّ وكد ...
وما أحوجه إلى أن يرفه عن نفسه بعض وقت !

ضحى : منذ أحد عشر عاماً قضى على «أبي الصباح» وحسبنا
يومئذ أن ذلك خاتمة المأسى ، وأن الأمير متفرغ
لتدبير شئون البلاد في طمأنينة وأمن ، ولكن
الأحداث تتوالى ، والقلقل لا نهداً .

هرقل : وتلك هي البلية التي واجهناها في هذه الأيام ...
غزو قارلة « شارلمان » للبلاد ، يحاول أن يجل
المسلمين عنها بجيشه الجرار .

ضحى : رد الله كيده في نحره .
هرقل : أرأيت كيف ضرب الحصار هنا على « سرقسطة » ،
حتى ظن أنه غالب عليها ، ولكنها استعصت عليه ،
فارتد عنها محسوراً خزياناً !

ضحى : لا تنس أن فصائل من جيشه ما زالت منتشرة في
شباب الجبال ، وأن هذه الفصائل تعوق جيشنا
عن التقدم للإيقاع به ، وإقصائه عن تخوم « سرقسطة » .

« حسان » الحاجب يقدم فيهمس « لضحى »
بكلمات ، فتجيبه في تأمر وإسرار ...

لا ، بل يجب أن يبقى ... إلى ما ضية من فوري
للقاء الأمير ...

..... هم بالانصراف

..... « حان » يخرج

هرقل : سأمضى ملتصقا لنفسي خلوة ، لكي أعدد العدة
لمباراة اليوم .

..... « هرقل » مضى

..... « سابق » يقبل من الفرجة الوسطى

..... « ضحى » يواجه

سابق : ما بال لك متعجلة ؟

ضحى : وما بال لك تتعجل أنت أيضا ؟

سابق : وهل لى من عمل إلا شئون الدولة ؟

ضحى : وأنا كذلك لا عمل لى إلا هذه الشئون ... أرغب

فى عرض شىء منها على الأمير ...

سابق : لا تلقى الأمير هذه الساعة ... لقد خلا بقواده

ليدبر معهم كيف يحلون الفصائل من جيش العدو ،

تلك التى انتشرت فى الشُعاب ، لتحضى ظهر الجيش

المعتصم بروس الجبال ...

ضحى : وأنا أيضا أشارك فى تدبير هذا الأمر .

سابق : ماذا تدبرين لإجلاء العدو ؟

ضحى : سأدعو « يعقوب النخاس » ليحضر هو وجواريه .

سابق : لقد أمرت بطرده من المعسكر .

ضحى : ألم يبلغك أمرى يا بقاته ؟

سابق : إنك تعبتين . . . تعرضين نفسك للمكروه .

ضحى : لست أدري أين العايب ، وأينا الذى يعرض نفسه
للمكروه ؟

سابق : أتخسبين الأمير فارغا لشئون الجوارى ، وبين يديه
الجسام من مهام الدولة ؟

ضحى : نفس الأمير لا تخلو من جانب للجمال ، وإنه ليولى
هذا الجانب اهتمامه حتى فى أخرج المواقف . . .
أنا أدري منك بنفس الأمير . . .

سابق : لا تنكر أن أميرنا شاعر مطبوع .

ضحى : وإنه لمشغوف بالزهرات الناضرات من الجوارى
الحسان ، يقبل على ثرائهن ، ويجمعهن تحت كنفه .
سابق : لكأنهن جيش آخر تحت لوائه . . . بيد أنه جيش
من الجنس الناعم اللطيف .

ضحى : أحسبت أن جوارى الأمير يحظين عنده بشئ
من المتعة والآنس ؟ لا وربك ، إنه قانع من الزهرات
بالمناظر الحسن ، لاتفو نفسه إلى أن يهتصر العود ،
أو يعتصر الرحيق . . . هواه الأول وغرامه الأصيل
مقصود على الأندلس ، فهى تملك عليه مشاعره .

سابق : حقا ... ما أخلصه للأندلس ...

كلهما يأمر للانصراف
يسمان حسا ووقع خطا
« سابق » يقول :

لابد أنه الأمير ...

« عبد الرحمن » يلوح في ثلاثة من نواده.

عبد الرحمن : أريد نساء ... أريد نساء .

سابق : (مهمهما في دهشة) نساء ؟

عبد الرحمن : في مستطاع المرأة أن تباع أحيانا ما لا يبلغ الرجل .

يوجه حديثه إلى « ضحى »
.....

أليس الأمر كذلك يا « ضحى » ؟

ضحى : الأمير أصوب رأيا منى ...

عبد الرحمن : أريد نساء ...

« هرقل » يبدو عن اليسار وهو يتدحرج

حاملًا رقعة العطرنج
.....

هرقل : هأنذا يا مولاي .

عبد الرحمن : ماذا جاء بك ؟ لقد طلبت نساء ... أمن النساء أنت ؟

« هرقل » يجمجم متلهثا
.....

« عبد الرحمن » يتابع قوله :

أجبنى يا هرقل ، ؟

هرقل : (متوسلا إلى «ضحى») أتر ضيئنى بين النساء ؟
عبد الرحمن : أغرب عن وجهى .

«هرقل» يتدحرج منصرفا
«عبد الرحمن» يجلس مفكرا
القواد يتحدثون إلى «سابق» فى سرار.
«ضحى» عند قدى الأمير شاخنة
البصر إليه
«عبد الرحمن» يقول للقواد : . . .

إذن لاسبيل إلى إجلاء العدو عن الشعاب . . .
أحد القواد : إن العدو معتصم برءوس الجبال ، لا تذ بالكهوف
والشعاب ، يرمى بالسهم كل من يسلك الطريق .
عبد الرحمن : ما أبرعها خطة دبرها «شارلمان» ... إنه يسد الطريق
أمامنا حتى لا نستطيع أن نجليه عن تخوم «سرقسطة»
وأن نلحق بجيشه الكبير ، نزل به الهزيمة كلها .
القائد الأول : لم يستطع جندنا أن يصعدوا إلى هذه الشعاب
لينزعوها من يد العدو ، كثير أاما حاولوا ، ولكنهم
فى كل مرة تساقطوا كأوراق الشجر واحد بعد
واحد .

عبد الرحمن : ليتنا نوفق إلى حيلة نظهر بها تلك الشعاب من
العصابات المبعثرة ...

القائد الثاني : لو وفقنا إلى ذلك لاستطعنا أن نحاصر جيش
« شارلمان » من جانبيه .

القائد الثالث : وإذن يقع الالتحام بين جندنا ومؤخرة جيش
« شارلمان » .

عبد الرحمن : (صائحا) أعرف هذا ...

فترة سكون :

« عبد الرحمن » يميل إلى « ضحى » الجائبة
عند مهبط قدميه ، فيمسح على رأسها
بيده

الثلاثة القواد يتحرفون قليلا عن المجلس ،
ومعهم « سابق »

« عبد الرحمن » يتحدث إلى « ضحى »
خافض الصوت :

صبيحة أنت يا « ضحى » ... وإليك لحانية عطوف .

ضحى : حسبى منك هذا الإطراء يا مولاي .

عبد الرحمن : (وهو سامم) هيات أن أجد الراحة إذا غبت عني

ضحى : ستزداد شوقا إلى ، وشغفا بي .

عبد الرحمن : (محمدا إليها) ولكن كيف يكون الحال إذ

فقدتك يا « ضحى » ؟ ...

« ضحى » تقبل ركبته.....

لحظات صمت.....

« عبد الرحمن » يجهر بقوله :

ماذا فى أن نبعث بسرب من النساء يجلبين العدو

السارب فى شعاب الجبال ؟

سابق : سرب من النساء ؟

القائد الأول : وأى جدوى فى أن نبعث بسرب من النساء ؟

عبد الرحمن : أليس جنود العدو رجالا من البشر ؟ أليسوا ناسا

مثل سائر الناس ؟ لقد طال مكثهم فى تلك الشعاب

يعانون الشظف والحرامان : وهم يلحوننا من مدى

قريب ، ونحن ننعم بما يعيّر عليهم أن ينالوه من

رفاهة ومتاع ونساء.. لا بد أن شهوة السبي والاستيلاء

على أطايب الغنائم قد بلغت ذروتها من نفوسهم

الملهوفة... فإذا لاح لهم سرب النساء تهافتوا عليه

مسرعين .

القائد الثانى : ولكن هذا السرب من النساء مقضى عليه بالسبي

أو الموت ...

عبد الرحمن : عليكم أن تنقذوه مما يتعرض له من الأخطار ...

سترقبون خطوات السرب من حيث لا يراكم

العدو ... سيهصر الوحش الجائع طعاما تتحلب
له أشداقه .

« عبد الرحمن » ينهض وافقا
سيترك أوكاره منقضا على الفريسة الشبية ...
وهنا لك تبرزون له ، وتحيطون به ، ضاربين
بالسيوف ، طاعنين بالرماح .

يحتل الموقف بالحركة والإيمان
فريقا يحمي سرب النساء ، وفريقا يحتل الشعاب ،
ويتعقب من فيها من جيش العدو ...
: وكيف يكون الأمر إذا لم يستطع جندنا إنقاذ
سرب النساء ؟

ضحى

عبد الرحمن : كيف ؟ ينتقلن من قضاء الله في الأرض إلى قضاء
الله في السماء !

الفراد يدوا عليهم عجب واستكار
« عبد الرحمن » يحاق في « ضحى

القائد الثالث : ومن أين لنا سرب النساء اللاتي يرتضين لأنفسهن
هذه المخاطرة والاشتهاد ؟

: سأدبر الأمر ... ضحى

توجه الحديث إلى « عبد الرحمن » :

مولاي .. حضر و بسبب النخاس ، يعرض صنوفا
من الجوارى .

سابق : وهل تصالح الجوارى لهذه المهمة ؟ أخشى أن
يفسدن الحطة ، متى عرفن أن مصيرهن السي
أو الموت ...

القائد الأول : لاشك أنهم سيتجنبن ويولون على طول الطريق ،
فتتكشف الحيلة .

« عبد الرحمن » يرمى بنفسه على المقعد

« فكرا في قنوط »

ضحى : (مقبلة عليه) دع لي أن أدبر الأمر ...

عبد الرحمن : وماذا أنت فاعلة ؟

ضحى : يأمر مولاي بادی بده بشراء الجوارى من
« يعقوب النخاس ، وأداء الثمن إليه .

عبد الرحمن : (مشيرا إلى « سابق ») أفعل من فورك .

« سابق » يتصرف :

« عبد الرحمن » ينظر إلى « ضحى » ..

ضحى : (في عزم) سيمضى سرب النساء كما تريد .

عبد الرحمن : أفصحى .

« ضحى » تشير إليه إشارة يفهم عنها أنها

تطلب أن يتحدث على حدة »

«عبد الرحمن» يقول لقواده
خذوا أهبتكم ، لكي تكونوا وراء سرب النساء .
إذا قُدِّرَ له أن يسير .

يتصرفون
يقول «لضحى» :

ماذا دبرت من أمر ؟

ضحى : يعتق الأمير هؤلاء الجوارى بعد شرائهن . . .
عبد الرحمن : ثم ماذا ؟
ضحى : ينادى الأمير بإشخاصهن إلى ديارهن على الهوادج ،
محمّلات بهن . دايا ثمينة تدل على جود الأمير
وسخائه . . . سأبلغهن هذا كله .

ترنو إلى وجهه متسائلة
عبد الرحمن : (متعجلاً أتفى حديثك . . . ثم ماذا ؟
ضحى : ستملأ أصواتهن بالغناء فرحات حين يخترق سربهن
شعاب الجبال .
عبد الرحمن : ومن أين لك أن ينفذن ذلك على نحو ماتصفين ؟
ضحى : سأكون طليعتن فوق محفة ، أتفى ، فيرددن
الغناء . . .

عبد الرحمن . ومن أباح لك أن تركبني ؟ من أباح لك أن تعرّضني
نفسك للتهلكة ؟

ضحى : (في صرامة وجد) أنت !
عبد الرحمن : أرايتني رغبت إليك في شيء ؟
ضحى : إنك لم تتكلم ، ولكن نظرتك لي منذ قليل كان فيها
الإفصاح عما تريد .

عبد الرحمن : (ناهضا) إنها مخاطرة ... ربما لا تعودين .
ضحى : فليكن ما يكون ... سأظل في ذاكرتك ...
سأحيا في مخيلتك ... سترفرف روحى بجوارك
فترة صمت
عبد الرحمن : (مهمهما) يا للمرأة إذا أَحَبَّتْ .

وجه إليها القول في احتياج :
وما ثوابك عندي يا « ضحى » ؟
ضحى : رضاك عني يامولاي .

تنحنى على يده تقبلها ، ثم تهوى بفمها
هند قدميه فيبادر بأنهاضها ، وتلاق
ظراتهما ، ويلتان كذلك هنيهة ، حتى
يبسط «عبد الرحمن» ذراعيه ، فتراعى
« ضحى » على صدره ، ويشتد بينهما عناق
« ضحى » ترك ذراعى «عبد الرحمن» .

خارجة من رجة السراقي
« عبد الرحمن » مائل مكانه ، سالم
لا يتحرك ، كأعما هو في غيبوبة
« هرقل » القزم يقبل ويؤيد الخطأ دون
أن يراه « عبد الرحمن »
« هرقل » يتناول يد « عبد الرحمن » فيقبها
« عبد الرحمن » يخيل إليه أن « ضحى »
هي التي تقبل يده ، فيمد أنامه إلى رأس
« هرقل » ليلاطف شعره ، متوحا أنه
رأس « ضحى »
« هرقل » يطلق ضحكة ابتهاج
« عبد الرحمن » يستهيق من غيبوبته ،
ويبين له الأمر فيركل « هرقل » بقدمه ،

عبد الرحمن : (لهرقل) أكنت تتجسس علينا أيها القسزم الوغد؟
هرقل . أنا يا مولاي ؟ إنما أقبلت استعدادا لمباراة اليوم .

عبد الرحمن : (مناديا) « سابق » . . . « سابق » . . .

سابق : (وقد حضر مسرعا) مولاي . . .

عبد الرحمن : إذا مضت قافلة النساء لشأنها فأنبئني ، واطلب إلى
القادة الذين يتبعونها أن يزفوا إلى طواريء أخبارها
في غير إبطاء .

« سابق » يوميء لإعلاء الطاعة ويخرج ..

هرقل : متى يأذن مولاي في بدء المباراة ؟

عبد الرحمن : (صائحاً) الساعة ... الساعة ... أذاكر أنت
ما قلته لك ؟

هرقل : إني ذاكره وواعيه ... لا مصانعة في اللعب
ولا مهازلة ...

عبد الرحمن : اللعب يتنا مخاطرة على رهان .

هرقل : أمرك مطاع .

عبد الرحمن : خمسون سوطاً على ظهرك إن غلبتك ... فإذا
ساعفك الحظ ...

هرقل : (مقاطعاً) لا قدر الله ... لا قدر الله ...

عبد الرحمن : فإن لك أن تطلب مني ما تشاء

هرقل : ما أشاء ؟

عبد الرحمن : نعم ، ما تشاء .

هرقل : وإن عز المطلب ؟

عبد الرحمن : (محتداً) أى مطلب لك يعز علي ؟ ماذا تبقى ؟

هرقل : (متردداً) أبغى ... أبغى ...

عبد الرحمن : قل أيها القزم ... لا تهيب ... مطلبك مجاب

هرقل : (مندفعاً في القول) أطلب إحسدى جواريك

الفضليات .. أطلب زهراء ...

عبد الرحمن : (متفرباً في وجه هرقل) لقد أسرفت في طموحك

أيها القزم .

هرقل : أما لمحت لك بأن مطلبي عليك عسير ؟

عبد الرحمن : (في ترفع وشموخ) لا عسير على «عبد الرحمن» . . .
ستنال « زهراء » إذا غلبتني .

هرقل : (مبادرا الأهير) لا قدر الله . . . لا قدر الله . . .
عبد الرحمن : أبسط رقعة الشطرنج .

« هرقل » يمد العدة

« سابق » يقدم

سابق : بدأت القافلة سيرها وفق الخطة المرسومة .
عبد الرحمن : (مهمهما) حسنا .

«عبد الرحمن» يخطو الى باب السراشق
جهن الملامح ولا يلبث أن يعود قبل لحظة
أن «سابق» لم ينصرف ، فيقول له .

فيم وقوفك يا «سابق» ؟

سابق : (مترددا) لاشيء يا مولاي

يتسكأ في خطاه بين تقدم وتأخر

عبد الرحمن : هنالك شيء تريد أن تقوله . . . تكلم .

سابق : (متوسلا) « بدر » . . . يا مولاي ، خادمك
القديم ، وتابك الصفي .

عبد الرحمن : (محققاً) ماذا ؟ لقد فرغنا من أمر « بدر » ..
 سابق : (مسترسلاً في قوله) لقد بعث إلى « برسالة من
 منفاه القصي » ، يحدد فيها لك الولاء ، ويمت اليك
 بسالف الخدمة ، ويطعم منك في عفو ورضوان ...
 مازال يرجو أن ترد غربته ، وتُرجع إليه ماصودر
 من ماله .

عبد الرحمن : (جَهْوَرِيّ الصوت) لقد أنفذت أمري في هذا
 الرجل الملحاح الكسول .. ولا مرد لما أقول ...
 طالما امتن عليّ في جرأة توقع ... لزام أن يلتقي جزاءه
 سابق : لأنه نادماً أشد الندم ... والصفح عندك مأمول .
 عبد الرحمن : فليتندم ما شاء أن يتندم ... انصرف لشأنك
 وكف عن حديث « بدر » ...

سابق : (ينحني محيياً) لك الطاعة يا مولاي .

ينصرف
 « عبد الرحمن » يجلس إلى رقعة التطريز ،
 ويومئ إلى « هرقل » أن يجلس قبالة
 بهرمان في اللعب فينقلان قطع التطريز
 في لحظة وحساس
 أنغام من الموسيقى تلام أطوار اللعب ،
 فمرحينا هادئة ، وحيناً ساخنة . ولا تقطع
 إلا إذا دار الحديث
 ...

عبد الرحمن : (وهو منهمك يلعب) كدت تحاصرني ... يالك
من ما كر خييت .

هرقل : (وهو منكب على الرقعة) أى خبت يا مولاي؟
إنه تدبير المصاولة والنزال ، خدعة الحرب ...
وأنت أدري بها منى .

عبد الرحمن : (ونظره عالق بقطع الشطرنج) أتزعم أيها القزم
أن لك بالحرب علما وخبرة ؟ ...

هرقل : على بالحرب لا يعدو هذه الرقعة ... وإنها الميدان
فسيح للأفزام .. أمثالى .

يطلق ضحكة شوهاء فيرقه « عبد الرحمن »
بالنظر الشر ، فيتزعج « هرقل » ويتكش
بإبهامات اللب في صمت
أنغام الموسيقى ترسل
« سابق » يلوح ... : ..

سابق : مولاي ...

عبد الرحمن : (ملتفتا الى « سابق ») أعذك نبأ من قافلة النساء؟
سابق : كلا يا مولاي ... وإنما قدم أمير البحر الساعة .
وهو ينتظر أن تأذن له فى لقاءك .

عبد الرحمن : فليقبل .

« سابق » يصرف

«عبد الرحمن» ينهض تاركاً رقعة الشطرنج

على حالها ، فينهض القزم على أثره . .

أمير البحر يهدم

أمير البحر . سلام على الأمير « عبد الرحمن » .

عبد الرحمن : وعليك يا أمير البحر السلام ... ماذا وراءك ؟

أمير البحر : كل ما يسر مولاي ... جئت أنبئ إليك أن الأسطول

الأكبر قد تم إعداده وفق مشيئتك ، وهو يرتقب

كلمة من فك ، ليضرب في البحر ، ميمما سواحل

الشام .

عبد الرحمن : مرحى ... مرحى ...

يضعه إلى صدره

أمير البحر : سيرى الخليفة في « بغداد » أنه أعجز من أن يرد

أسطولك عن غزو الشام .

عبد الرحمن : سأسترجع أرض الآباء والأجداد ... سأعيد إلى

« بني أمية » ما كان لهم من إمرة وسلطان .

أمير البحر : متى يأمر مولاي أن يبحر الأسطول ؟

عبد الرحمن : سأخبرك بعد قليل ... لك الآن أن تأخذ نصيبك

من راحة واستحمام .

أمير البحر يتجنى وينصرف
 «عبد الرحمن» بذرع الرجق ذهاباً وأوبة
 محتاج الخطو، متفرقا في التفكير، مهمهما
 القافلة . . . قافلة النساء .

«هرقل» يتدحرج ويتواهب أمام
 «عبد الرحمن»، فيقول له :

ما هذا ؟

هرقل : يبدو أن مولاي الأمير نسيني ونسى معنى المباراة...
 عبد الرحمن : لم أنسك . . . لم أنس ما وعدتك به .
 هرقل : تقصد «زهراء»، يا مولاي . . .
 عبد الرحمن : بل أقصد الخنسين سوطاً على ظهرك .

«هرقل» يتجسس ظهره بيده
 «عبد الرحمن» يتابع قوله :

تقدم . . . واستأنف اللعب .

يجلسان إلى رقعة الشطرنج
 «سابق» يبدو محتاجاً

سابق : مولاي . . .
 عبد الرحمن : أعندك نبأ من القافلة ؟
 سابق : العجيب يا مولاي أنه لا نبأ .

عبد الرحمن : كيف ؟

سابق : لم يرجع إلينا أحد من الرسل حتى الآن ، ولكن
قَدِم الساعة تجار جو الون كانوا يسلكون الشعاب
التي سلكتها القافلة ، فلما سألتهم عنها أنكروا لقاءها .
عبد الرحمن : كيف هذا ؟ لا بد أنهم واهمون .

سابق : إنهم يؤكدون أن الشعاب خالية ، وأنهم لم يلبحوا
ظلالا لساتر .

عبد الرحمن : أين ذهبت القافلة إذن ؟ أين الرجال الذي بعثتهم
ليتبعوها ؟ هل انخفضت بهم الأرض أو انطبقت
عليهم السماء ؟ أرسل من فورك فوجا من الرجال
ينفثرون في المسالك ، ليتبينوا شأن القافلة
التائهة ... بحجّل .

سابق : (منصرفا) أمر مولاي ...

« عبد الرحمن » مبلبل الخاطر ، يعنى
عنة وبرة
« هرقل » يحمل رقعة الشطرنج ، مقتنيا
خطا « عبد الرحمن » فيتشر في سيره ، وتلتثر
قطع الشطرنج من يده
عبد الرحمن : (وقد انتبه من تفكيره متفرعا) ماذا ؟

هرقل : لأنها قافلتني ... تحطمت.
عبد الرحمن : (وقد أحد نظره إليه) لقد أردت بهذا أن تفسد
اللعبة ، بعد أن تبينت لك الهزيمة الحاتمة بك .
هرقل : لا ورأسك ... لقد كنت من الفوز قاب قوسين ...
ولكن ما حيلتي في سوء حظي ؟
عبد الرحمن : يا لك من منافق دجال ... أبسط الرقعة ، ورتب
عليها القطع .

« هرقل » ينفذ الأمر
« عبد الرحمن » و « هرقل » يجلسان
إلى رقعة الشطرنج ، ويفرعان في اللعب
« سابق » يقدم مهتاجا

سابق : مولاي .
عبد الرحمن : ماذا ؟
سابق : القافلة في طريقها ، وقد تجاوزت مِنطَقَةَ الأمان ،
وتوغلت في الشُعاب ؛ فأصبحت في متناول سهام
الاعداء .

عبد الرحمن : من أنباك بهذا يا « سابق » ؟
سابق : رسول بعث به قائد الجند ...
عبد الرحمن : أي نبأ إذن ذلك الذي حمله إليك التجار الجوّالون ؟

سابق : لقد وضع لنا أنهم مخمورون ، وأنهم كانوا يسلكون طريقا غير ذلك الطريق .

عبد الرحمن : مخمورون ؟ مر الجلاّد أن ينفذ فيهم عقوبة السكر . . . ألهبوا ظهورهم بالسياط . . . لكل منهم خمسون سوطا لا تنقص .

«هرقل» يتحسس ظهره على غير وعي منه

سابق : أمر مولاي مطاع .

ينصرف .

عبد الرحمن : (مهمهما) تجاوزت القافلة منطقة الأمان ، وأصبحت في متناول الأعداء .

يعاود اللب بالطرنج

اللب يشتد حتى يبلغ القدرة . . .

أنعام الموحدين تملو وتقع . لصبرهما بجول

في نفس «عبد الرحمن» ، ثم تنف بفتة

هرقل : (صائحا) ضاع الرُخ . . . انتصرت يا مولاي .

«عبد الرحمن» يحدق إلى رقعة الشطرنج ،

متصنعا الاستخفاف ، ولكنه لا يلبث أن

يركل الرقعة بقدمه ، فتتأثر ألعيا ذات

اليمين وذات الشمال

عبد الرحمن : فلتنهأ بانتصارك أيها القزم .

هرقل : (حائرا ، متفزعاً) ... مولاي .

«عبد الرحمن» يشرق الرحلة طولا ومرضا
«هرقل» متكشف في وقفته
«عبد الرحمن» يرمقه بنظرة حامية ..

عبد الرحمن : فيم وقوفك ؟

هرقل : لقد كان اللعب مخاطرة على رهان ... أليس كذلك
يامولاي ؟

عبد الرحمن : وإنك لتنتظر أن أؤدى إليك الرهان .

هرقل : لقد وعدنى مولاي أن يهبني جاريته «زهراء» ...
عبد الرحمن : (متفمخا يتشدد بقوله) ولن يخلف «عبد الرحمن»
وعده لأحد ..

هرقل : (يتصايح متحمسا) أطل الله عمر الأمير .

عبد الرحمن : (وقد تدانى من باب السراشق ينادى) «حسان» ...
«حسان» ...

«حسان» يقدم «هرولا»

«عبد الرحمن» يقول له :

أسلم ظهر «هرقل» ، إلى الجلاد ، وأطلب إليه أن

ينفذ فيه العقوبة على الفور ... تخمين سوطا ...

لاتزيد .

هرقل : (مشدوها محتق الصوت) ... لقد وعدتني
يا مولاي ...

عبد الرحمن : أما وعدى لك فإنى موف به ... لا تخلف ولا
مأطلة ... ولكن لابد من أن تنال السباط ظهرك،
عقوبة لك على سوء السيرة، ومعاقرة الخنز خفية.

هرقل : يمين الله ما ذقت الخنز قط .

عبد الرحمن : أمكذبى أنت يا دهرقل ؟

هرقل : عفوك يا مولاي ... ما يكون لى أن أكذبك ،
ولما الرشاة بى كثير ، وحسادى يكيدون لى أشد
الكيد ... وما أحسب إلا أنهم يا مولاي ...

عبد الرحمن : (مقاطعا) لا وشاة ولا حساد ... لقد تجرعت
الخنز ، ولزام أن تنال عقوبة الشارب الأثيم .

ينتفت الى «حسان» قائلا : ...

انطلق به إلى الجلاذ، ليحسن تأديبه .

«حسان» يسوق «هرقل» منصرفا به من

فرجة الأبحام

هرقل : (متباكيا ينظر إلى «عبد الرحمن ») ويا مولاي ...

« زهراء » ...

عبد الرحمن : لا تفتش ... إنها لك ، ولكن بعد أن يفرغ الجلاذ
من شأنه معك .

«عقل» ينساق مع «حسان» متعابها
مرة في فرح ومرة في تحيب
«عبد الرحمن» يسير في الرحبة ذهاباً
وجيئة
تسمع ضجة ومتقاتل فرح واستيثار .
«سابق» يحضر
.....

سابق : النصر لمولاي ...

عبد الرحمن : ماذا في الأمر يا «سابق» ؟

سابق : أتى رسول ينبئنا بأن الخطة قد نجحت أيما نجاح...
لقد احتلت عساكرنا رأس الطريق ، وأجلت عنه
فصائل الأعداء التي كانت مبهوثة ذات اليقين وذات
الشمال .

عبد الرحمن : وقافلة النساء ؟

سابق : أيدت جميعاً ، فلم تنج منها ناجية ، ولم يبق من
آثارها إلا هذا الخمار المفهاف .

يسقط الخمار في يده
«عبد الرحمن» يتناول الخمار في صمت
وسكون
.....

ترسم على وجهه مشاعر مختلفة
«سابق» يقول :

إنه خمارها يامولاي ... خمار وضحى .. لقد
رُمِيَتْ تلوح به الجنود الأعداء في بطون الشَّعَاب،
تدعوهم إلى البروز لطلب المتعة واللاهو .

صمت جياش

عبد الرحمن : وماذا يصنع جيشنا الآن ؟
سابق : لقد تقدم أمير الجيش بطائفة من الجند ، ليتعقب
كتائب « شارلمان » . . .

عبد الرحمن : ... سنلحق جميعاً بأمير الجيش نشد أزره .
فلتؤدّن في المعسكر بالرحيل . . .

« سابق » يتصرف
« عبد الرحمن في السراشق وحده ،
حامل بين يديه خمار وضحى » يتأمله
محتاج العاطفة ، ثم يدينه من فقه فيقبله
قبلة حارة
يتنفض انتفاضه عزم وحاس ، ويقفى
بالخمار على إحدى الوسائد
يتيمناً للخروج ، فإذا هو يرى « أمير
البحر » مقبلاً عليه
أمير البحر : لقد أمر مولاي بأن يتأهب العسكر للسير . . .

فماذا يرى في شأن الأسطول ؟

« عبد الرحمن » ينفذ يديه على صدره ..

ويطوي بها منه كأنه يستاهم السماء ...

أمير البحر يتابع قوله

أيأمرني مولاي أن أتجه الى المشرق ، لأهجم على

مراكب العباسيين ؟

عبد الرحمن : لا . العباسيون إخواننا في العروبة والدين .. ولا

أريد أن أبعثها حربا بيني وبين العباسيين لا يفيد

منها إلا العدو عدونا الألد هو « شاولمان » ... انطلق

بأسطولك لنحاصر سواحله ، وتضيّق عليه الخناق .

أمير البحر : حبذا الرأي أيها الأمير ... الله معنا ، والنصر للمؤمنين !

أمير البحر يجي ويصرف

« عبد الرحمن » واقف وحده في السراة

رفقه الجبار المقبل على ساعة طامة ،

الواتق بالفوز الميب

عبد الرحمن : (مناجيا نفسه) لقد خلا وجه الطريق إلى « شاولمان » ...

لا مخلص له اليوم من هزيمة ساحقة ... ذات لي

الجزيرة ، وغدوت أميرها الفرد ... ما كان يدور

في خلدي حين قدّمت هذه البلاد أنى بالغ فيها

ما بلغت من مجد وسلطان ... أين أعوانى الذين كانوا
معى بادية بدء ؟ استموتهم المطامع ، فانقلبوا أعداء
لى منافسين . سقطوا ، عن حولى واحدا بعد واحد ...
وما أردت أن يسقطوا ، ولكنهم إلى حتوفهم سعوا ،
وبأظفارهم حفروا قبورا لأنفسهم ... ها أنذا أملك
الامر دون معقب ... صقر ؟ لا ، لست صقرا كما
لقبستنى يا خليفة بغداد ، إنما أنا نسر ، ولا يعيش
النسر إلا وحيدا فى القمم ... نعم ، أعيش اليوم
وحيدا ، بعد أن قضيت على أعدائى وأصدقائى معا ...
ولكن بقيت لى نفسى ، فى حماية الله ، وفى ظل
هذه الراية ... ترانى أحسنت اختيار الوسيلة لبلوغ
القمة ؟ أم ترانى أسأت ؟ أكفرت بنعمة أسداها
إلى صديق ؟ أجددت جميلا صنعه بى نصير ؟ إليه
أيتها النفس ! أجيئنى ، واصدقنى القول ...
لا تكتمى عنى جليّة الامر ...

يشخص يصره الى باب السراى : وقد
قامت عليه راية « نبي أمية » تخفق بها
الريح . يهت وتناوعينه راية الى الراية
يستأنف قوله :

حسبي منك يا نفس ... وعيت ما تقولين ... فاصمتي
ولو إلى حين ! ... الفرد فداء القبيلة ، والقبيلة فداء
الأمة ، والأمة فداء الراية ... راية العروبة
والإسلام ... !

يسلك عن المناجاة هنيئة ، ثم يقول :
أيها الأقدار ... ادفعني في حيث تشائين ... فما
أنا إلا رمز من رموزك ، سر من أسرارك ، معقول
من معاولك ... إليك يا نفس عني ... لاتحاسبيني
أيها النفس اللوامة ... ليس عليك حسابي ...
إنما حسبي هو الله ... !

صائحون : (من خارج) الله أكبر ... الله أكبر ...

« سابق » يقبل

سابق : الجيش في تمام أهبة ...

« عبد الرحمن » شاعر سيفه ، ضارب

بقدمه الأرض ، انتهى بالخروج ...

عبد الرحمن : فليتقدم الجيش ... باسم الله ... في سبيل الله !

ختام

أحدث مؤلفات «محمود تيمور»

أ - مجموعات قصصية :

- ١ - كل عام أنم خير
- ٢ - مكتوب على الجبين
- ٣ - شفاه غليظة
- ٤ - شباب وغانيات
- ٥ - إحسان مه
- ٦ - خلف الأنام
- ٧ - فرعون الصغير
- ٨ - بنت الشيطان
- ٩ - قال الراوى
- ١٠ - أبو الشراوب
- ١١ - أبو على الفنان
- ١٢ - زامر الحى
- ١٣ - قلب غاية
- ١٤ - ناثرون
- ١٥ - دنيا جديدة

ب - قصص مطولة :

- ١ - كابوياترة فى خان الحليل
- ٢ - لوى فى مهب الريح
- ٣ - نداء الجبول

ج - صور وخواطر :

- ١ - ملامح وغضون
- ٢ - النى الاسان
- ٣ - شفاه الروح
- ٤ - عطر ودخان

د - رحلات

- ١ - أبو الهول بطير
- ٢ - شمس وليل

هـ - قصص تمثيلية :

- ١ - صقر قرينى
- ٢ - سهاد أو الحسن النائه
- ٣ - المنقذة
- ٤ - الخبأ رقم ١٣
- ٥ - المزيفون
- ٦ - فداء
- ٧ - عوالى
- ٨ - أبو شوشة والوكب
- ٩ - قنابل
- ١٠ - حواء الخالدة
- ١١ - اليوم سحر
- ١٢ - ابن جلا
- ١٣ - أشطرنى لابلين
- ١٤ - كذب فى كذب

و - تحت الطبع :

- ١ - شمروخ « قصة مطولة »
- ٢ - كل لقمك بى رى جينك »
- ٣ - تمر حنا عى « مجموعة قصصية »
- ٤ - ابن الأغلب « تمثيلية »
- ٥ - منكرات الامة المربية
- ٦ - دراسات فى القصة والمسرح

Di

مستند الطبع والنشر
مكتبة الآداب ومطبعتها، د. هادي ت. ١٩٧٧

Bibliotheca Alexandrina



0656673

المطبعة النموذجية
٦ مكة الناصرة، القاهرة الجديدة